1

هذا كتاب الجزء

الأول من القناطر في الفقه

Ou El Kanater

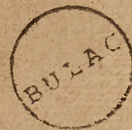
Le Pont

Cheikh Ismail El Djitali

La Copie de l'original a été terminée dans la dernière décade de Rebia 1er 1077 par Yahia ben Abi l'Kassem el Berrani (peut-être el Barouni) de la secte Hadhite.

Haut. 205 - larg. 149 - Ecriture barbaresque ordinaire peu élégante mais très-lisible - Quelques feuillets sont piqués - 28 cahiers à 10 f. (20 p) - 21 lig. à la page.

Les trois derniers feuillets ont au haut des taches de moisissure et aux angles intérieurs d'en haut des taches violettes



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ ابو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي رحمة الله عليه

الحمد لله المتوحد بالالوهية والكبرياء المتعزز بالربوبية والبقاء
المتقدس عن تقلب الحالات المتعالي عن العيوب والآفات خالق كل شيء ومقدره
ومخترع الاجسام وصوره خضع كل شيء لهيبته وتواضع كل شيء لعظمته
وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لجبروته لم يزل عالما بجميع المحدثات
على ما هي عليه من الصفات من تفاصيل اجناسها ومجاري انفاسها
قبل وجود اعيانها وجريان ازمانها انشأها الحكيم في ازليته بقدرته على
وفق مشيئته ليس له شريك في انشائها ولا ظهير في ايجادها ولا من شيء
معه موجود وابتدعها على غير مثال معهود اخترعها دالة على قدرته
وتحقيقا لما سبق من ارادته وما خلق الجن والانس الا لعبادته عالم في الازل بما هم
عاملون وبآجالهم التي اليها ينتهون وبارزاقهم التي هم لها آكلون وهم لما
علم منهم منفذون وعلى ما سطر في كتابه المكنون ماضون فجميع ما يجري به القدر
من جميع الاشياء والامم قد سبق من الله الفصل وجف به القلم فالآجال محدودة
والانفاس معدودة والارزاق مقسومة والاعمال محفوظة والآثام محسوبة
وفي اللوح مكتوبة لا يتأخر شيء عن اجله ولا يسبقه قبل حلول محله ولا يفوت امرا

رزقه المقسوم ، ولا يتعدى ما قدر له من الامر المحتوم ، سبقت كلمته الحسنى
لعباده المرسلين ، واوليائه المخلصين ، كما حق القول منه لاعدائه الغاوين ، بل كل ميسر لما خلق له
ولا يتجاوز ما وقف له ، يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ،
احمده حمد من اخلص فيه الانابة ، وادعوه دعاء مؤمل فيه الاجابة ، واشهد ان لا اله
الا الله الملك المحمود ، الذي ليس بوالد ولا مولود ، واشهد ان سيدنا محمدا عبده المرتضى ، ورسوله
المصطفى ، ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فبلغ رسالة
ربه ، ناصحا لامته ، حتى اتاه من ربه اليقين ، بعد كمال الدين ، صلى الله عليه وعلى اله الطيبين
الاخيار ، واصحابه المهاجرين والانصار ، والتابعين لهم باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار ،
اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب بحقائق الايمان ، واوضح محكمات القرءان ،
انه لا وصول للعبد الى السعادة الابدية الا بالعلم وامتثال العبادة الرضية ، وهما بضاعة
الاولياء ، ومنهاج الاتقياء ، وهما بذر الله القويم ، وصراطه المستقيم ، لاجله خلق الخلق
والحق ، وبسببه تنال غرة النجاة ، ولكنه طريق صعب المسالك ، خفية المهالك ، كثيرة
العوائق والموانع ، غزيرة الاعداء والقواطع ، بعيدة المسافات ، كثيرة الافات
ذات شعاب واودية ، وعقبات واهوية ، محفوفة باللصوص والقطاع ، مشحونة بالاسد والضباع
والسباع ، تنبعث فيها الشياطين الموسوسة ، والغيلان المختلسة ، قد شبكت بالاشراك
الحائلة ، ومزجت بالسموم القاتلة ، وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الى الجنة دار
الحور والجواهر المكنونة ، تصديقا لقول الرسول عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت

الفار بالشهوات ومع ذلك ان الله سبحانه خلق الانسان ضعيفا فحمله ثقل الامانة تكليفا ثم
ووجب عليه اتقان حمل تلك الامانة بالعلم والعمل والتشمير في اداء حقها بالجد لا بالكسل
فمن الانسان فحيص والنافذ اعماله وصيص والجهل مع اتباع الهواء عليه غالب والدواب
محرقة به من كل جانب والاجل في غير عزيز والسفر بعيد صعب مشق قريب والطاعة هي
الزاد فلابد منه والدنيا منسوقة فلا فوت لها فمن لطف بالزاد منها سهل عليه على الصراط
الجواز فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ومن عدم من الطاعة نصيبه فطال عليه في
سفره النصب ودام عليه في النار الوصب والهرب فلهذا الخطب الفضيع والهول
الشنيع قل السالكون الطريق بالجد والتحقيق ومنهم من بدل في بدوامه من النفس بعض
المجهود فطال عليه التعب فانقطع ولم يصل الى المقصود الا الاصفياء المخلصين الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فلست فلما كان الطريق على
ما وصفنا من المشقة والمخافة والشهوات والاهوية والعقبات الموذية وادخل
ان في نفس عليها فنا طي الذي يكثر السالكين عليها العبور حتى تفضي بهم ان شاء الله
الى عرصة السرور وذلك ان الله سبحانه نقل بني ادم من اصلاب الرجال
الى بطون الامهات فخلقهم فيها خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فاخرجهم الى
الدنيا جهلة فاحياهم بالعقول بلغاء وجملة فاقنا زوادهما على البهائم فصاروا من
جملة العقلاء وهم المملكة العظماء فالزمهم عند كمال العقول التكليف وقدم
اليهم على السنة رسله بالانذار والتخويف وجعل لهم الارض ذلولا وبين انها

وجعلها

وفنائها محادثتها ؛ لا يستغنوا فيها بل يتخذوها منزلا ويتزودوا منها زادا
وعملا ؛ فيتحرزون من مصايدها ومعاطبها ؛ ويتحققوا ان الاعمار تسير بهم سير
السفن بركابها ؛ فهم في الدنيا سفار ؛ وباعمالهم تجار ؛ فاول منازلهم القبور واخرها
المحشر ؛ والموطن الجنة والنار والحشر ؛ مسافة السفر ؛ والسنون مراحله ؛ والايام
امياله ؛ والانفاس خطواته ؛ والطاعة بضاعته ؛ والاوقات رءوس امواله ؛ و
الشهوات قطاع طريقه ؛ وربحه الفوز بلقاء الله في دار النعيم المقيم ؛ وخسرانه
البعد من الله تعالى في دركات الجحيم والعذاب الاليم ؛ وان ما دون الجنة من قصد الحسي
فتنعم والفزع الاكبر الى الغنى الذي فيه هول المطلع ؛ مفاوز محفوفة بالاهوال
الفظيعة ؛ والافزاع الهايلة الشنيعة ؛ من صحف تنشر ؛ ونار تزفر ؛ واعمال توزن
فترجح او تخف ؛ وقلوب تفزع وترجف ؛ وعقارب في القبر تلدغ وحيات تلسع وملايكة
تحضر وجوارح تنشر فيتحقق بهذا الترتيب العجيب ان الدنيا للخلق مفاوز
والرعيا لهم مجازات وما بعد الموت الى الفراغ من الحساب اخطار مهولات ثم ان الله
سبحانه شرع ملة الاسلام طريقة سهلة حنفية سمحة رغب فيها في اشياء
من التوحيد والصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك فكانها قناطر منصوبة
وحرم فيها اشياء من الشرك والظلم والفواحش والربا والغرر وغير ذلك مما يطول
ذكره ، فكانها للعبد صواعق مهلكة وامر عباده ، بدفع الشهوات ودفع العلايق
الشاغلة عن طاعته من اصناف الخلق والهوا والنفس والدنيا فكانها عقبات

واودية وشعاب ملتفة عائقة للعبد عن سلوك الطريق الى الله تعالى قاطعة
له من المسير وامرهم بالاستعاذة به تعالى من الشياطين الموسوسة من
الجن والانس كانها امواج مستغرقة وعقبان مختلسة واوجب عليهم تطهير
القلوب من مغارس العوائد والغشوب من الشك والشرك وصفاته
الغرور والغل والحسد والكبر والكبرياء والغضب والعداوة والبغضاء في
الطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة
بالفقراء والمكر والخداع والغش وسوء الظن والخيانة والعجز والخيلاء والتنا
فس والمباهاة والاستكبار عن الخلق والانفة عن قبول الحق والعصبية
والمداهنة والعجب وحب الرياسة والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب
الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس
اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر
والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة وطول الامل والقسوة
والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة
لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الرحمة والاصرار على المعصية البغي ذلك
وهاذه وامثالها في ذاتها سموم قاطعة واشراك لابليس خاتلة وامر
بحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والهمز والغمز واللمز والطعن
في الغير واللعن لمن لا يستحق والشتم والازدراء والقذف وبهتان البري

واحم

والحكم بغير ما انزل الله وقول الزور والنطق بالفحشاء والتغني والنياحة والخوض
فيما لا يعني واشباه ذلك مما تاخذها الاعمال فيها ان مشتغلة **وذكر**
عن النميمة واخذ الحذر من مكايد النفس وغرور الشيطان وتزكية النفس والرضى
عنها الى غير ذلك مما تاخذها حبايل غايلة للانسان **وامر** بغض البصر عن المحارم
وحفظ الفروج وصيانة السمع عن جميع ما لا يجوز التكلم به وحفظ البطن
عن جميع ما لا يحل اكله ولا مشى به الى غير ذلك من المناهي **وامر** بعمارة القلب
واللسان بذكر الله عز وجل والصبر والشكر والخوف والرجا والرضا والزهد
والتقوى والقناعة ومعرفة منّته تعالى في جميع الاحوال والاحسان وحسن
الظن واليقين والمعرفة وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والقول بالحق واشباه ذلك من جميع اخلاق الايمان
المتقدمة **وذكر الله تعالى** براية الاسلام فقال ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب واقام الصلاة واتى
الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون **ثم ذكر** المحارم
فقال لنبيه عليه السلام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم
وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ
اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فما اوجب على العباد
امتثال اوامره الاول واجتناب محارمه والسؤال عنها حتى يعرف
فيجتنب او يمتثل وحضهم على كف الالسنة وتطهير الافئدة لكي تصح الاعمال
ولا تبطل فقال تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم الاية
وقال ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وقال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الاية وقال
ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال لنبيه
عليه السلام قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الى قوله ما لا تعلمون
فلما كان الامر على ما وصفنا كان ينبغي لنا ان نرتب على طريق الاسلام
فنا طرقا فقهيا ليسلك المسترشدون عليها ونهيئ لهم مسائلها من العلم
ليقفوا على ابوابها ونبين لهم طرق عوائق من الصبر ونظام النفس والحلم والقناعة
والرغبة في ذلك حتى يتجنبوا مرارة الدنيا بالزهد فيها وتنفتح قلوبهم
بصفاء ان يخونوا واحذروا الشيطان حتى يتمكنوا من الهرب من الغرور وزخرفها

وتزعجهم بانزعاج الرجا والشوق الى الجنة ونعيمها المقيم ذلك مما يطول به
الثواب ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل الجسيم شمر الموفقون على ساق
الجد ودعوا بالكلية على ملاذ النفس واغتنموا بقايا الاعمار قبل ان يزعجوا
عن هذه الدار جعلنا الله واياكم من الموفقين لعلم دينه العاملين به انه ارحم الراحمين

فصل في ترتيب قناطر الاسلام

اعلم ان الله سبحانه خلق بني ادم اطوارا في الرحم ونفخ فيه الروح والشم بكمه
هذا الامرة ليس له علم بشيء من الامور الى الحسن ببسنار وبريتالم فلما خرج من
بطن امه وجرت الحركة في مفاصله ابصر وذاق وشم وسمع وذلك قوله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الاية فخلق الله تعالى به ملك اليمين يكتب حسناته ويسعده
ويقويه ويؤيده فحضر قدام سبع سنين فزين به الملك صاحب الشمال يلهمه ويلقنه
ويعلمه ويلبسه الى تمام اربعة عشر سنة فلما ظهر في الكلام استقبلته القياسات
الخياليه واختلطت له بالعقلية فاذا نظر الى السماء وتوهمها بساطا اخضر تمر
عليه ذنانير صغير فلما قويت نفسه وبلغ حسه ذهب الخيالي هباء منثورا وبقي
العقل اميرا مامورا وهو قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فتعين حينئذ عليه التكليف ووجب عليه معرفة خالقه الرحيم اللطيف
ونظر بعقله الذي هو من حجج الله على المكلفين مع سابق حجته من الانبياء والمرسلين
واصناف الخلق اجمعين فتامل فاذا الدنيا بين يديه كالذهب مغارة مظلمة وبالجهالة

من الحكمة فإذا فيها أصناف الحيوانات المؤذية فإذا استقبلته فقال لابد
في سلوك هذه المفاوز من مصباح نور يكون في ذلك ليلا حتى يعرف ما يأتي وما يتقي
فيستقبله بما يتقيه فنظرة العلم نجاة وهي الفطنة الأولى
وإن يصل إلى ذلك إلا بتنبيه مخبر أو إلهام ملهم فيوقف عقله على التفكر
والبحث والنظر فيتفكر في الدليل من خلق السماوات والأرض وما فيهما وما
بينهما من روح وخفة وجوهر وعرض ويتفكر في اختلاف الليل والنهار
وما يجري به الدهر من الأكوان والأحداث من الخير والشر والنفع والضر والشدة
والرخاء وغير ذلك فيستدل بالصنعة على الصانع فيعلم يقينا أن الصنعة لا بد
لها من صانع وأن الخلق لا بد له من خالق ثم يمعن النظر في خلقة نفسه وتسوية
جوارحه وما أفاض عليه الرب سبحانه من أصناف النعم من الحياة والعقل والفهم
والسمع والبصر والشم والذوق وغير ذلك مما لا يحصى كثرة من المعاني الشريفة
واللذات وما صرف عنه من أصناف المضار والآفات فإذا أمعن النظر بعين البصيرة
لا بعين البصر علم أن لهذه الصنعة صانعا ولهذه النعمة منعما حيا رازقا عالما
بأسراره وما يختلج في أفكاره فإن وعد على شكر النعمة ثوابا ووعد على كفرانها عقابا
وأنه إن غفل عن شكره وحرمته أزال عنه تلك النعمة وأذاقه البأس والنقمة عاجلا
فيحتاج حينئذ لا محالة في قلبه خاطر الفزع الذي ينبهه عليه في عقله وتلزمه
الحجة وينقطع له العذر ومن أجله مع ساير الحجج من كتاب الله ورسوله ..

جعفر

فبعد ذلك استقبلته الفريضة الثانية وهي فريضة الايمان

بفاطره الصانع الخالق الرازق المنعم انه خالقه ورازقه فطالبه بوجوده وعرفه
بعد ما جهله فيومن به ايمانا يقينيا بالقلب واللسان ويدوم على ذلك
الى الممات ويوحده توحيدا خالصا فيرى الامور كلها من الخير والشر والنفع
والضر روية يقطع بها الالتفات الى الوسايط والاسباب وهذا التوحيد والايمان
والعلم هو القطب الذي يدور عليه سائر الفرائض التي استقبلته حين اشرف على
مجازة المرقيا المظلمة بالجهل فيقتله فينجي في عقبه ساير الذنوب الموبقة التي هي
ما دون الشرك من الذنوب تحقيقا لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف فلما عرف الغفور سيده ووحده وامن به وعلمه بعد ما
جهله فيعرف انه قد وجب عليه خدمته وطلبه شكر نعمته والائه ايدري
كيف يخدمه وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه بعد حصول هذه المعرفة

فاستقبلته الفريضة الثالثة وهي فريضة الصلاة مقدم فرضها

عن الصيام في نزول الوحي اول الاسلام لا في حالة التكليف والالزام لان العبد
مامور بجميع الفرايض منهي عن جميع المعاصي في حالة البلوغ فيجب عليه
عند حصول فرضها الايمان بجميع وظايفها علما وعملا لانه لما عرف سيده وجب
عليه ان يخضع له ويخشع ويذعن له بجميع العبودية ويختم بالاعبادة بجمع
الخضوع والخشوع والابتهال الى الله سبحانه والتضرع اليه مثلها فيجب على

العبد الواقف بين يدي سيده المحترمة بالطهارة الكاملة والخشوع
التام فيجر له بعض عفوه ويرضى عنه فإذا واظب على الصلاة أورثه ذلك
لين الفؤاد وتمرين الجسد وتذليل النفس إجلالا لخالقها وإنزالا لمرادها فقط
فإذا أتى بالصلاة راغبا راهبا. استقبلته النقطة الرابعة
وهي فائدة الصوم عند حلول شهره ووجوب فرضه مع ما فرضه في التنزيل
على الزكاة أيضا لأن النفوس على الأموال أشح ومما يتعلق بالأبدان أسمح وذلك
الصلاة والصيام لأن في إيجاب فرض الصيام حثا على رحمة الفقراء وإطعامهم وسد
جوعاتهم بما قد عاناه الغني وقاساه من شدة المجاعة ولأن الصوم يقهر
النفس ويكسر شهوتها المستولية عليها ولهذا قال عليه
السلام معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء فوجب على العبد إكمال الصوم بجميع شروطه
وكف جوارحه عن المحرم عليه ظاهرا وباطنا لأن المقصود من الصوم عند أهل
التحقيق التخلق بخلق من أخلاق الملائكة في الكف عن الشهوات بحسب
الإمكان لأنهم منزهون عن الشهوات والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم
بقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء
الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط
في أسفل سافلين والتحق بأغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى

عليين

عليه والتخلق بأخلاق الملائكة المقربين الى الله تعالى قرب صفات لا قرب
مكان والكريم يتشبه بأخلاقهم فيتشبه الى الله تعالى فيقربهم فهذه
حقيقة الصوم عند أهل التحقيق فإذا أتى العبد بفريضة الصوم على الكمال
استقبلته الفطرة الخامسة وهي فطرة الزكاة
كما ورد في الخبر الزكاة قنطرة الإسلام فقدم الله تعالى فرضها أن في الحج
مع أنه إنفاق المال سفرا أيضا فكانت النفس الى الزكاة أسرع إجابة منها الى
الحج فكان في إيجابها مواساة للفقراء ومعونة لذوي الحاجات تكفيهم
عن البغضاء والتقاطع وتبعثهم على التوادد والتواصل مع ما في أدائها
من تمرين النفس على السماحة ومجانبة الشح المذموم لأن السماحة تبعث على
أداء الحقوق والشح يصد عنها لأن الله تعالى امتحن عباده حين ادعوا محبته
أن ينفقوا أموالهم المحبوبة عندهم فيكون ذلك تصديقا لدعواهم ولذلك
قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاستنزلهم عن المال الذي عشقوه
وعن النفس التي هي غاية محبوبهم وقال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو سماحة بالمهجة
بالنفس شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال أهون فإذا أخرج العبد
من ماله فريضة الزكاة بكمال حقوقها الى مستحقيها **استقبلته**
الفطرة السادسة وهي فطرة الحج أخى الله سبحانه في فضل

على العباد لانه يجمع عملا على البدن وعملا في المال جعل فرضه بعد استيفاء عبادة
الابدان وعبادة الاموال ليكون استيفاء سهم بكل واحد من النوعين ذريعة
الى تسهيل الجهاد عليهم لانه يجمع النفس والمال كالحج وكان في ايجابه الحكم
تذكير السعي للاخرة في مفارقة المال والاهل وخضوع العزيز والذليل في الوقوف
بين يديه واجتماع المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة اليه واقلاع اهل
المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على ما قدموه لانه قل من حج الا واحدث
توبة من ذنب واقلاعا عن معصية واذا ادى العبد فريضة الحج على الكمال خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه فبهذه الخمس قامت قواعد الاسلام كما جاء
في الخبر بني الاسلام على خمس الحديث وهي اصل العبادة والاتيان بهن على
الكمال علامة السعادة فلسنا نتعرض هاهنا لذكر فريضة الجهاد لانه من
فروض الكفاية داخل في فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على فرد درجاته
الثلاث وهذه الدعائم الخمس اصلها واساسها الذي تنبني عليه هو
التوحيد والايمان والاخلاص لانه لا تصح العبادة الا بالايمان ولا ايمان الا بالعلم
ولا يصح العلم الا بالطلب ولا يصح الطلب الا بالارادة ولا تصح الارادة الا بباعث
يبعث عليها والباعث هو الرغبة في ثواب الله والرهبة من عذابه
ولا يصح ذلك الا بالوعد والوعيد ولا يكون الا بالشرع ولا يصح الشرع الا بصدق
الرسول وصدق الرسول يصح بالمعجزة لان ظهور المعجزة انما هو باذن الله سبحانه
وتعالى

وتعالى مالك الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين فصل فلما استكمل
العبد هذه الأوصاف وتحصل له العلم كما وصفنا انبعث قلبه ليتجرد
للعبادة فنظر فإذا هو صاحب ذنوب وتباعات فيقول كيف أقبل
على العبادة وأنا مصر على المخالفة والمعاشرة فيجب علي أولا أن نتوب
إلى الله تعالى ليطهرني من أقذار الذنوب فأصلح لخدمة علام الغيوب ...
فتستقبله هاهنا عقبة التوبة وهي العقبة
الثانية فيحتاج لا محالة إلى قطعها ليصل إلى المقصود من
العبادة فيأخذ في ذلك بإقامة التوبة في حقوقها وشروطها إلى أن قطعها
بجميع وظائفها كما سيأتي إن شاء الله تعالى فلما فرغ من هذه العقبة حن
إلى العبادة ليأخذ فيها فنظر فإذا حوله عوائق محدقة كل واحد منهن
تعوقه عما قصد من العبادة وتشغله بضرب من الشواغل فتستقبله
هاهنا عقبة العوائق فتأمل فإذا هي أربع أحدهن فتنة
الدنيا المتعلقة به فيحتاج إلى قطعها بالتجرد عنها والزهد فيها لأن الدنيا
والآخرة ضرتان إن أسخطت إحداهما أرضيت الأخرى وإنهما كالمشرق والمغرب
بقدر ما يقرب إلى إحداهما يبعد عن الأخرى وليبعد عنهما فاحتاج إلى
قطعها بالزهد فيها والتجرد عنها لأمور الزاهد وثلاثة منه كما سيأتي إن شاء الله
تعالى الثانية فعقبة الخلق أهل الرغبة والبطالة وأهل الدنيا

والجهالة فيحتاج الى قطعهم بالتفرد عنهم والهرب من لقائهم ان عم البلد
او خشي هلاك دينه او يحتمل اقوالهم بغلبة وجهله ويحضر الجماعة
والجمعة معهم ويوفيهم حقوقهم من صلة وزيارة وحضور ميت كما سياتي
ان شاء الله الثالثة قطعة الشيطان فيحتاج الى قطعها بالقهر
والمحاربة والاستعاذة بالله منه والمخالفة له لانه عدو لا مطمع فيه لمصالحة
وابقاء لانه لا يقنعه الا هلاك العبد اصلا فلا وجه للامن من هذه العقبة
والغفلة منه الرابعة فقطعة النفس وهي اعدا الاعداء واشدها
على العبد اذ هي بين جنبيه لا يمكنه التحرز منها مرة لانها الباطنة ولا
مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصد من الاقبال على العبادة اذ هي
مجبولة على ضد الخير امارة بالسوء والشر فاحتاج اذا الى ان يلجمها بلجام
التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح
والرشاد ويمنعها عن المهالك والفساد فياخذ في قطع هذه العقبة
بالسياسة والاعتزال فيمنع من شهوات النفس ما خرج عن طاعة الشرع
والعقل ويترك لها ما لا يخرج من الشرع والعقل فلا يترك كل شهوة ولا
يتبع كل شهوة فلما فرغ من هذه العقبة وقطعها بحسن عون الله
وتوفيقه رجع الى العبادة فنظر فاذا عوارض تعترضه عن العبادة
وتشغله عنها كما ينبغي فتستقبله هاهنا عقبة العوارض فتامل

باذا

فاذا هي اربعة احدها الرزق تطالبه النفس به وتقول لا بد لي من
رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت عن الخلق فمن اين يكون قوامي
ورزقي الثاني الاخطار من شيء تخافه وترجوه وتريده او تكرهه ولا تدري
الصلاح في ذلك من الفساد فان عواقب الامور مبهمة فانه ربما يقع
في فساد او هلكة الثالث الشدايد والمصايب تنصب عليه
من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومجاهدة
النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة يستقبلها وكم من هم وحزن
يعترضه وكم من مصيبة تتلقاه الرابع القضا من الله سبحانه بالخلق
والامر يجري عليه حلوه ومره والنفس تسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فاحتاج
الى قطع هذه العوايق الاربعة باربعة اشياء بالتوكل على الله
سبحانه في موضع الرزق وبالتفويض للامور اليه في موضع الاخطار وبالصبر
عند نزول الشدايد وبالرضا عند نزول القضا فلما قطع هذه العقبة
بما ذكرنا باذن الله وحسن عونه رجع الى العبادة فنظر فاذا النفس فاترة
كسلانة لا تنشط ولا تنبعث للخير والعبادة كما يجب وينبغي
وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وبطالة بل الى شر وفضول وبلية وجهالة
فاحتاج معها هاهنا الى سايق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها له
والى زاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنها وهما الرجا في ثواب الله

والخوف من عذابه مع توابعهما من الحزن والاشفاق والشوق والمحبة ...
فتستقبله هاهنا عقبة البواعث بالكمال فاحتاج الى قطعها بالخوف
والرجا كما ذكرنا فلما قطعها بحسن عون الله وتاييده وقع الى العبادة
فتستقبله عقبة العبادة بالكمال فيطالبها بالشوق والاجتهاد
اذ لم يبق شيئا شاغلا ولا عائقا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة واقامها
بتمام الرغبة فاذا تتبع ولاحظ العبادة التي اعتمل فيها يجد ذلك افتان
عظيمتان وهما الريا والعجب تارة يرائي الناس بطاعة الله فيفسدها وتارة
يمتنع من ذلك ويلزم نفسه فيعجب بها فيحبط العبادة عليها ويتلفها
فاستقبلته هاهنا عقبة القوادح في الاعمال المبطلة لها فاحتاج
الى قطعها بذكر المنة والاخلاص ونحو ذلك ليسلم له ما يعمل من خير وعبادة فلما
قطعها بجد واحتياط وحسن عصمة الله وتاييده فلما فرغ من هذا كله حصلت
العبادة وسلمت من كل افة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحور منن الله
تعالى وكثرة اياديه من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة
فخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فينزل عنه تلك النعم الكريمة
من الطاف الله تعالى وحسن نظره فتستقبله هاهنا
عقبة الحمد والشكر على كثير نعمته تعالى فاذا فرغ من هذه العقبة نزل فاذا هو
بمقصوده من العبادة بين يديه فلم يمش اليها قليلا حتى وقع بميدان الانس

والرضا

والرضا وبساتين المحبة واللقاء وحانات الشوق وعرصات المعرفة ومجالس المناجاة
فهو يتنعم في لذة العبادات وبساط المجاهدات ايام حياته وبقية عمره فتارة
يتنعم بلذة الشوق والمحبة ويتلذذ بحلاوة الرجاء والطمع وتارة يتنغص بخوف
الخاتمة فبينما هو في دار الموت راغبا راهبا ويتوقع القدوم على الله تعالى واثقا
مطمئنا فيكابد ها هنا قنطرة خوف الخاتمة قال فبينما العبد في جهد
في الدعاء والتضرع ويتنعم في المجاهدة والتخشع ويخاف الخاتمة بالخوف
والقلق خائفا من حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة ومرارة
الحرمان والندامة وقد خاف جملة القواطع وافتتح له القلب بالعلوم والمصابيح
وقد طهره الله سبحانه من الاوزار والكبائر وحجبه العوائق الشاغلة ودفع عن
نفسه العوارض المانعة وظفر بالمواعظ والزواجر وسلم من العوائق المبطلة
فبينما هو على هذا اذ اشرف على قنطرة الموت فشغله في الدنيا واعرض
قلبه في العقبى سما وبرق وقد استحقر الدنيا وحن الى العالم الاعلى واستبطأ
البريد واشتاق الى اللقاء فبينما هو كذلك اذا برسول رب العالمين قد ورد
عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان فتلقاه
في طيب النفس وتمام البشرى والانس من هذه الدار الفانية المعنية الى
الحضرة الالهية والجنة العالية فيكون القبر له روضة من رياض الجنة ويوفق
للصواب عند امتحان الملكين اياه بالسؤال والفتنة ويعرض وعده على مقعده
من الجنة في كل غدوة وعشية فاذا بعث من قبره حمل على نجائب الكرامة

وامنا من الفزع الاكبر واهوال يوم القيامة ويكون وجهه كالقمر ليلة
التمام مع ما يلقى من البروالاكرام ويا خذ بيمينه صحيفة العمل ويكسى من
فاخر الحلي والحلل ويحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ويجوز فيما
يجوز فيما على جهنم بنور ساطع على تلك الظلام المظلم لهم ويساق الى الجنة
محبورا ويسقيه الرب سبحانه شرابا طهورا في ملك كبير ونعيم
عظيم مجاورا للرحمان في رياض تلك الجنان مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مقعد صدق عند مليك مقتدر
في امان سعادة ما اعظمها وكرامة ما اوفاها فنسأل الله البر
الرحيم المنعم الكريم ان يمن علينا وعليكم معشر الاخوان بهذه الطريقة
المستقيمة حتى يوصلنا بها الى هذه الكرامة العظيمة والنعمة الجسيمة
وان يجعلنا من الذين لهم نصيب لهم من هذا السعي المشكور والجزاء الموفور
له وصفا وسماعا وتمنيا له انتفاعا واليه نرغب ان يجعل ما تعلمنا حجة علينا
واياه نسأل ان يوفقنا جميعا للعلم والعمل كما يحب ويرضى انه ارحم
الراحمين واكرم الاكرمين فصل ثم اعلم بالتحقيق ان ليس هذا الطريق
في طوله وعرضه وقناطره المرتبة عليه مثل المسافات التي نسلكها بالنعل
فنقطعها بالاقدام الاجسام فيقع قطعها على حسب قوة الاجسام وضعفها
وانما هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب
العقايد والبصاير اصله نور سماوي ونظر الهي يقع في القلب لمن سبقت

له من الله العناية الأزلية فيقطع العبد به خطوة فيرادفها امور الزوايق
بالحقيقة فتم كنز النور مما يطلبه العبد الف سنة بل مائة سنة
فلا يجزى ويبقى في القطعة الواحدة سبعين سنة ولا يقطعها فكم يصيح
ويصرخ من ألم هذا الطريق واشكاله واعسر هذا الامر واعضله وذلك
لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بالطريق وآخر يجوزه
في خمسين وآخر في عشرين وآخر في يوم واحد وآخر في ساعة ولحظة
على ما قسم له من عناية رب العزة وتوفيقه الاترى ان اصحاب الكهف
كان مدتهم في هذا الطريق خطوة اذ رأوا التغيير في وجه ملكهم دقيانوس على ما
حكي في الخبر فقالوا ربنا رب السماوات والارض وكذلك سحرة فرعون ما كانت
مدة قطعهم الخطوة حين رأوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام قالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهارون الآية فابصروا الطريق في ساعة او اقل فصاروا
من العارفين بالله الراضين بقضائه الصابرين على بلائه فان قلت
فلم اختص قوم بالتوفيق وحرم غيرهم وهم جميعا مشتركون في ربقة
العبودية فاعلم انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لكن العبد مأمور با
لاجتهاد والامر مقسوم والحكم العدل يفعل ما يشاء فنسئل الله تعالى
ان يحي فينا ذلك بمنه وكرمه فصل ثم اعلم يقينا ان من سبق له من الله تعالى
التوفيق واودع قلبه نور الهداية على التحقيق حتى عرف فضيلة ارض نفسه
ووفقه العناية بحرمتها حتى ينظر اليها فيراها ارضا ريضة ذات مياه نابعة
واشجار بارعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل ويعشش في غياضها شعا
دبها فيجزها مأوى لاسد الغضب ونمور الجهل وذياب الغرور وخنازير الشره

وكلاب الحرص وضباع الطمع وحيات الظلم وعقارب الحسد فإذا تحققت ذلك منها
فليبتهل الى الله تعالى بقلب منيب أن يرزق مجاهدة هذه الآفات المردية
حتى يفيء أرض نفسه منها بالمجاهدة الحقيقية ويزرع فيها أعشاب رياحين الأخلاق
المرضية فإن الله سبحانه وتعالى يهب له مطية التوفيق حتى يقطع بها الطريق
وهذه المطية لها أربعة قوائم من علمها وما أعظم فإن قلت اشرح لي
قوائم المطية فهي أن يجعل الاشتياق واقفا على مسارح الحضرة ولكن
ساكنا هنالك والقائمة الأولى ذكر الله دائما على الدوام بلا ملل والثانية
تعلق القلب في كل حين وزمان والثالثة حب الصحبة إليه اشتياقا والرابعة
اشتغال القلب به عن كل شيء سواه واعلم أن في العطية من العلم
والمعرفة وأخذها من المراقبة وظهرها من التوكل وعنقها من الوفاء وقلبها من
الصدق وكلكلها الإخلاص ولجامها من الهيبة وروحها من اليقين وطعامها من الأنس
وقائدها من المتقين وسائقها العون والتأييد بصريح القول تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وطرق التوفيق الى الله تعالى
كثيرة لا تحصى والمطايا كذلك ولكن هذه مطية من سلكها فهي طريق التوفيق
الى الله تعالى فيقطع ما في لحظة وذلك بأن يجعل ما في الوجود في خطوة واحدة
وهذه المطية هي الغاية القصوى وما سواها من المطايا فتبع لها
إليها ينتهي عمل العاملين وفيها تتنافس مطايا الراغبين وهي التي يكون طلاب
الربانيين وبأذيالها يتأدب المريدون وما سواها من مطايا الأولياء وطرقهم
تبع لهذه المطية ولهذا الطريق واعلم أن هذه المطية في طريق مغارة
الفناء هي المحفوفة باللصوص والآفات وفيها تقع معارك الحروب فيكثر فيها ملاحم

القتال فصل

فسلوا ايها الاخوان الموفقون للطريق رحمكم الله سيوف المجاهدة واخشوا الاودية
المخيفة واركبوا رايات التقوى والمحاسبة ولكن لم يقطع هذه المفازة بالكمال حتى
يصل الى هذه العطية الا من رفقه الله من الموفقين ما يخلصه به اثير الهباء من الهواء
ولطيف الهواء من الماء مع عصمة الله تعالى وامتداد ايده بقوة اليقين حتى لم يرى في
الوجود الا الله تعالى وافعاله من ابطال العارفين وشجعان الروحانيين وفرسان الصديقين
ولكن من كان التوفيق قايده والتيسير دليله فما اسرع الى كل خير وصوله فاجتهدوا
رحمكم الله في اخذ حظكم من مواهب في هذا الطريق بل عسى يقويكم لركوب هذه المطايا
الحسان ويوصلكم عليها بلطفه دار الامان والرضوان وتناصحوا فيما بينكم ولا تتركوا اعقب
الدنيا يغلوا قلوبكم فانه شر محبوب واخس مطلوب جعلنا الله واياكم ممن يستمع
القول فيتبع احسنه فصل دعا في رحمكم الله الى تمثيل الدنيا بالمفازة وتمثيل
الشريعة بالطريق فيها وتمثيل الهاوية بالمفاوز موضوعة عليها وتمثيل اعمالها
بالمطايا لما في ضرب الامثال من فتق القلوب بسهام الموعظة رشقا لا يايسون
بعيدها ولان ذلك ابلغ في تقريب المعاني الى العقول كقوله عليه السلام فيما روي عنه
انه قال العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده والبر اخوه
والصبر امير جنوده وقال بعض السلف سالت راهبا فقلت له ما الدنيا قال خلق كخلق
المراة راسها الكبر ووجهها العجب وعيناها السحر ولسانها الفخر واذناها
النسيان ونفسها العلو وقلبها الطمع وبطنها الحرص ورجلاها الحسد وعنقها
الحزن وظهرها الياس من الله تعالى وزينتها الشهوات فهذه صفة دنياكم

التي عليها تتشاجرون فاحذروها وقال الله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون وفي كتاب الله تعالى من الامثال ما يستغرق الوصف والله المستعان

فصل فان قال قائل اذا كان الامر على ما وصفت والطريق على ما نعتت لقد قل
من الناس العابد لهذا الرب المعبود والواصل الى هذا المقصود فمن ذا الذي يقوى على
هذه الامور ويصل هذه النهاية فاعلم ان الله سبحانه يقول ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وقال وقليل من عبادي الشكور وقال الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولا يشكرون ولا
يعقلون وما ينتفعون في امثال هذه الآيات ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه
وصفا قلبه ونوره فعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فاذا كان العبد الضعيف يقوم فيما عليه من
التكليف فما ظنك بالرب القادر العلي الكريم اللطيف والشان كله يرجع الى اصل واحد
وهو الكلمة السابقة في الازل بالتوفيق والسعادة ولا يزال ذلك باجتهاد وتكلف
ولكن بقسمة ازلية وهبة وهبات لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولا يستحق هذه
الهبة بالانساب ولا بالاحساب الا ترى الى لقمان الحكيم قيل انه عبد مملوك نوبي
اعطاه الله من الحكمة ما طبق الافاق واشتهر في الاقطار حتى انزل ذلك في القرآن
وكثير العبيد مما يطول ذكره رجالا ونساء مثل تجينة المعتوقة وغزالة الامة المملوكة
من السودان اما تجينة فانها كانت تصلي في مصلى ابي عبيدة الجناوني رحمه الله
فبصرها ابو الخير الزواغي في هواء اضوا ساطعا واشباه رجالا خلقوا او دايرين بها

فبشر

فحشي بعندها من فناء البنات ثم توطنوا بذلك الفناء ما في حالتنا تلك واما غزالة
فبقي صاحبه وادي الزير فكانت فيما قيل اذا توقف مواليها في البلاد وبقوا حضرت
المجلس في ثنو فتنزيه فتلاقم كل فيها اخر الليل فتخرج مصابيح بعدان فلما اعتقف
انطفى مصباح واحد وبقا اخر والله اعلم نسأل الله الرحمن الرحيم ان يمن علينا وعليهم
بالتوفيق فصل اعلموا رحمكم الله اني تفكرت في احوال اسلافنا رحمهم الله
فوجدتهم اهل بصاير ومعرفة بالرب واهل تواضع وخشية في قوة يقين مع ما منحهم
الله تعالى من سلامة الصدور من كل غائلة واجتهاد في العبادة بصدق الورع عن
كل شبهة فجعلوا في احياء حب الله تعالى اموالهم واهرقوا فيه دماءهم فلا
صحوا وقد انقرضت منهم الديار ولم يبق الا ذكرهم في المجالس والاقطار فاثارهم
مذكورة وسيرهم في الاسفار مشهورة تعجب من بعدهم خلف رضوا بالدنيا
عوضا من الاخرة عليها يتكالبون وبها يتواصلون ومن اجلها يتوالون ويتعادون
اسعدتهم الدنيا فاذلتهم والاماني فاضلتهم فيا ليتهم اكتسبوها من ابوابها واكلوها
من اسبابها ولكنهم اخذوها عوضا عن الدين ونقضا لحسن سير اشياخنا الاولين
استحوذ على اكثرهم الشيطان واستفزهم الطغيان فاصبح كل بعاد حسنه
مشغوفا بفعل المنكر من اجل ذلك عندهم معروفا حتى ضاعت حدود الدين والسنة
اثار السلف الصالحين فاصبح مقام الدين مندرسا وصار الهرج في اقطار الارض ومنهاها
ولقد خيلوا ان لا علم ولا فقه ولا حكومة يستدرج بها العوام اذ لم يروا ما سواها
مضيرة للحرام وشبكة للحطام واما علماء طريق الاخرة وما درج عليه السلف

الصالح مما اسماه الله تعالى في كتابه علما وفقها وحكمة ونورا وهداية ورشدا
فقد اصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ثم اني نظرت في كتاب الله
تعالى وسنة نبيه عليه السلام وما دونه السلف الصالح رحمه الله من الاثار
والسير في الرمانى والاسفار فوجدت في ذلك علما انفع عندي في معانيه
وحقيقته وايقنت بالفوز والنجاة لمن انتحله وعمل به وهو العلم بحدود
التقوى من الورع عن محارم الله عز وجل والقيام بحدوده وتصفية القوة
والقلوب من مكارهه فرايت انتحال ذلك والعمل بحدوده واجبا على
والحجة العظمى وقائمة من اجله على جميع من فهمه اذ كان ذلك دين الله
الحق المبين وعليه مضى اسلافنا وساير المتقين ثم اني تفكرت
في احوال اهل زماننا فرايته دهرا مستصعبا قد زالت فيه شرايع الايمان وانقطعت
فيه عرا الاسلام واندرست فيه حدود الدين بالكلية ورايت فتنا منها اكبر
فيا رفيقها اللبيب وذهبا منه رسالة داعي اليه والمجيب وقد عميت عين
الاخرة بصايرنا وامتلات بحب الدنيا ضمايرنا فخشيت الاضمحلال من الامر
كله فرايت التمسك بالقليل خيرا من ذهاب الجميع وان كان لا عذر لاحد
في تضييع شيء من اوامر الله تعالى ولا ارتكاب شيء من مناهيه ولكن رجاء
من عوده عون لانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه سياتي
بعدكم قوم ان تمسكوا بعشر ما انتم عليه نجوا فدعاني ما ذكرت
الى تاليف كتاب اشرح فيه ان شاء الله بعض شرايع الدين واليسير

بعض

بعض مناهيه لعل الله تعالى يجعله تذكرة لنفسي ولمن فهم فيه من ابناء
جنسي وغيرهم من الناس وسميته كتاب قناطر الخيرات فالله سبحانه
اسأله التوفيق في القول والعمل والعصمة من الخطا والزلل وهذا
الكتاب يحتوي على سبعة عشر قنطرة انشرحها ان شاء الله بالتمام
الاولى قنطرة العلم تحتوي على مقدمة في بيان العقل
وعشرة ابواب في تحصيل العلم الاول في بيان فضله الثاني في فضل
التعلم والتعليم الثالث في فرض العين الرابع في فرض الكفاية
الخامس في بيان حد الفقه والكلام في علم الدين وبيان علم الآخرة من علم
الدنيا السادس في طرق العلم وتقاسيمه السابع في ادب المتعلم و
العالم الثامن في آفات العلم والعلماء السوء التاسع في بيان جنس
العلم المذموم واسماء العلم المحمود العاشر في العلامات المميزة بين
علماء الدنيا والآخرة وسائر القناطر تاتي على الترتيب المتقدم ان شاء الله
الى آخر قنطرة فيكون آخرها صفة الجنة والنار وهذه الابواب
ستاتي فيما بعد ان شاء الله ونحن الآن مبتدئون ان شاء الله في ابواب العلم
وتفاصيلها اعلم انا قد قدمنا اولا انا سنشرع في بيان معرفة العقل قبل ابواب
العلم فصل في فضل العقل وشرفه وحقيقته واقسامه
وانما قدمنا بيان العقل على تحصيل ابواب العلم لان العقل آلة لدرك

العلوم واصل الفضايل ويتبوع الاداب واصل التهذيب وعطاء للعاقل فالعلم في جمعه في الثمر في الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين وشرف العقل مدرك بالضرورة وكيف لا يشترف ما هو وسيلة الى السعادة في الدنيا والاخرة وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام انه قال لكل شيء دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن انس قال كثر المسايل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان لكل شيء مطية واحسنها دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذاك يا رسول الله قال عليه السلام انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل فكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اصل الرجل عقله وحسبه دينه وعن حسن البصري قال ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به يوما ما وعن البراء بن عازب عن النبي عليه السلام انه قال جدوا الملايكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل

وجد

15

وبعد المومنون من بني ءادم على قدر عقولهم بأعمالهم بطاعة الله عز وجل
اوفرهم عقلا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله بما يتفاضل
الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل اليس يجزون باعمالهم
فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله عز
وجل العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا
يجزون وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو والجهل انكى عدو
وقال بعض الادباء صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله وقال بعض
البلغاء خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل وانشد الماوردي
لابراهيم بن حسان ∴ يزين الفتى في الناس صحة عقله ∴ وان كان محظورا
عليه مكاسبه ∴ يشين الفتى في الناس قلة عقله ∴ وان كرمت اعراقه ومناسبه
∴ يعيش الفتى بالعقل في الناس انه ∴ على العقل يجري علمه
وتجاربه ∴ وافضل قسم الله للمرء عقله ∴ فليس من الاشياء شيء يقاربه ∴
اذا اكمل الرحمان للمرء عقله ∴ فقد كملت اخلاقه ومآربه ∴ وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء آلة وعدة وان آلة المومن العقل
ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة المومن
العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت
الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب
اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل

ولكل شيء فسطاط وفسطاط المومن العقل وعنه صلى الله عليه وسلم ان احب
المومنين الى الله عز وجل من نصب في طاعته تعالى ونصح لعباده وكمل عقله
ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وعنه عليه السلام
قال اتمكم عقلا اشدكم لله عز وجل خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه
نظرا وان كان اقلكم تطوعا واعلم ان بالعقل تدرك حقايق
الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وهو ينقسم قسمين غريزي
ومكتسب فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف
لا يتجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان وبه يمتاز الانسان
من ساير الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قيل
عن صالح بن عبد القدوس انه قال اذا تم عقل المرء تمت اموره وتمت اياديه وتم بناؤه
وروي عن الضحاك في قوله تعالى لتنذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف
الناس فيه وفي صفاته على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف
يفصل به بين حقايق المعلومات واختلف من قال بهذا في محله فقالت
طايفة محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقال اخرون محله القلب لان القلب
معدن الحياة ومادة الحواس وفي اثار مروية عن علي بن ابي طالب يرفعه
الى النبي عليه السلام انه قال خلق الله سبحانه العقل من نور مكنون
في غامض علمه من حيث لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل
فجعل الزهد راسه والخير سمعه والحياء عينيه والرافة قلبه والعلم فهمه

والبر

والنفس طبعه ثم قواه بعشرة اشياء بالايمان واليقين والسكينة والحزن
والاخلاص والقنوع والخشوع والخضوع والشكر والتسليم والصبر ثم قال له
اقبل فاقبل وكان اقباله اقبالا ثم قال له ادبر فادبر وكان ادباره ادبارا فقال له
عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا قط اكرم علي منك ولا احسن وقعا ولا
احب الي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اعرف ولك الثواب وعليك العقاب
قال فخر العقل ساجدا فمكث العقل في سجوده الف عام فقال له عز وجل ارفع
راسك واسأل تعط واشفع تشفع فقال اللهم سيدي تجود علي ذلك
المشفعتني فيمن خلقتني فيه فقال ذلك لك وقال صلى الله عليه وسلم من اوتي
العقل فقد اوتي خيرا كثيرا وانما العاقل من عقل عن الله تعالى امره ونهيه
ومن لم يكن كذلك فليس بعاقل حتى قال بعض العلماء فيمن اوصى بثلث ماله
لاعقل الناس ان يصرف في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل
وعنه عليه السلام قال اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته
فلا يعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا عقله وقال أُمِرْنَا معاشر الانبياء ان نكلم
الناس على قدر عقولهم فان قيل ان كان العقل عرضا فكيف خلق قبل الاجسام
وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه لا يتحيز قيل له ان هذا
من العلم الغامض الذي لا يطلع عليه الا الانبياء والروحانيون وقد ابطل
الماوردي في كتابه هذا القول بهذه العلة وقال قوم العقل غريزة يتهيأ
بها درك العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية حكى هذا عن الحارث
المحاسبي فكانه اشار الى ان العقل نور يقذف في القلب به يستعد لادراك

الاشياء ونسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الروية ونسبة القول
والشرع الى هذه الغريزة في اكتساب العلوم لها نسبة نور الشمس الى البصر
وهذا الوصف هو الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وقال اخرون العقل بعض
العلوم الضرورية اذ العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان
الشخص الواحد لا يكون في مكانين وقالت طائفة العقل هو جملة العلوم الضر
ورية من وجوب الواجب وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وقد قال
بعضهم العقل هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان احدهما
ما يقع عن درك الحواس الخمس كالمرئيات المدركة بالبصر والاصوات
المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام
المدركة باللمس فاذا كان الانسان ممن يدرك بحواسه هذه الاشياء ثبت
له هذا النوع من العلم وكان عاقلا لان خروجه في حال تغميض عينيه من ان يدرك
بهما ويعلم لا يخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك
لعلم والنوع الثاني ما كان مبتدا في النفوس كالعلم بان الشيء لا يخلو من
وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم وكالعلم بان من المحال
اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز
ان ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله فاذا كان عالما بالمدركات
الضرورية فهو كامل العقل والى هذا القول ذهب الماوردي في كتابه
قال وكل من نفى ان يكون العقل جوهرا اثبت محله القلب لان القلب محل العلوم

كما

كما قال الله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلت هذه
الاية امرين احدهما ان العقل علم والثاني ان محله القلب وفي قوله
يعقلون بها تاويلان احدهما معناه يعملون بها والثاني يعتبرون
فهذه جملة القول في العقل الغريزي واما العقل المكتسب فهو
نتيجة العقل الغريزي وذلك علوم تستفاد من التجارب بمجاري الا
حوال فان من حنكته التجارب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف
به يقال انه غمر جاهل وهذا العقل ينمي ان استعمل وينقص ان اهمل
لانه من قوة ثقابة الحدس واصابة الفكرة ما لم يمنعه مانع من هوى
او صاده من شهوة لانه يحصل ذلك بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك
حمدت العرب اراء الشيوخ فقالوا عليكم باراء الشيوخ فانهم ان
فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصرمت اسما
عهم اثار الغير وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقيل في
منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقال
بعض البلغاء كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة ويشهد
∴ الم تر ان العقل زين لاهله ∴ ولكن تمام العقل طول التجارب ∴ فهذا
نوع اخر من العلوم يسمى عقلا وقد يكون هذا ايضا ليطلق على الذكاء وحسن
الفطنة وذلك جودة الحدس واذا امتزج بالعقل الغريزي صارت نتيجتهما
العقل المكتسب كالذي يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة
الراي ولذلك قالوا عليكم بالحدث السري الحديد الذهن وقالت العرب

عليهم بمشاورة الأحداث فإنهم ينتجون رأيا لم يعقله طول القدم ولا استو
لت عليه رطوبة الهرم وأنشد الماوردي لبعض الشعراء: رأيت العقل لم
يكن انتهابا: ولم يقسم على عدد السنينا: ولو أن السنين تقاسمته: حوى
الآباء أنصبة البنينا: وذكر عن الأصمعي أنه قال قلت لغلام حدث من أولاد
العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحته وملاحته أيسرك أن تكون لك
مائة ألف درهم وأنك أحمق فقال لا والله فقلت ولم قال أخاف أن يجني علي
حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي فانظر إلى هذا الصبي كيف
استخرج بفرط ذكائه ما العلة فيه وعنه من هو أكبر منه سنا وأكثر تجربة
وحكي عن ثمامة بن أشرس أنه أخبر أن المأمون تفرد يوما في بعض تصيده
فانتهى إلى بعض بيوت أهل البادية فرأى صبيا بيده قربة وقد غلبه
وكاؤها وهو يقول يا أبت أدرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال
فوقف عليه المأمون فقال ممن تكون فقال من قضاعة قال من أيها قال من كلب
قال وإنك لمن الكلاب قال لسناهم ولكن قبيل يدعى كلبا قال فمن أيهم أنت
قال من بني عامر قال من أيها قال من الأجدار ثم من بني كنانة قال فمن أنت يا غلام
وقد سألتني عن نسبي فقال ممن تبغضه العرب كلها قال فأنت إذا من نزار قال
ممن تبغضه نزار كلها قال فأنت إذا من قريش قال إني ممن تبغضه قريش كلها
قال فأنت إذا من بني هاشم قال إنما ممن تحسده بنو هاشم كلها فأرسل فم القربة
فقام إليه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته وخرج
بيده إلى شكيمة الدابة وهو يقول مأمون يا ذا المنن الشريفة: وصاحب

الكتيبة

الكثيفة الكثيفة :. هزلك في ارجوزة ضيعة :. اضرب من فقه ابي حنيفة
لو انه اذ انت له خليفة :. ما طمعت بارضها ضعيفة :. علمانا مؤتمنه خفيفة :.
واجبا فضلا على الوضيعة :. فالزيف والنحة في السقيفة :. واللص والتاجر
في القطيعة :. ثم سار فيها سيرة الخليفة :. فقال له المامون احسنت فايما احب
اليك عشرة آلاف درهم معجلة او مائة الف مؤجلة فقال بل اداخرك يا امير المومنين
وفي غيره اخرالاتك انت الغني الوفي قال فما لبثته ان قبلت الاحسان فقال
احملوه فمضانه حتى كان احد مساويه انظر الى جودة قريحة هذا الكلام ومجاوبته
فيها ان الفعال لما يشاء واحسن من هذا الذكاء والفطنة ما حكاه ابن قتيبة
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهربوا
منه الا عبد الله فقال له عمر ما لك لم تهرب مع اصحابك فقال يا امير المومنين لم يكن
علي ريبة فاخافك ولم يكن بالطريق ضيق فاوسع لك انظر الى ما تضمنه هذا
الجواب من الفطنة وقوة المنة وحسن البديهة فليس للذكاء غاية ولا للجودة
القريحة نهاية وامثل ذلك قالت الحكماء اية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة
الوهم وليس لمن منعه جودة القريحة وسرعة الخاطر عجز عن جواب وان اعضل
كما قيل لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم
فقال كما يرزقهم على كثرة عددهم وقيل له كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة
وقيل لابن عباس اين تذهب هذه الارواح اذا فارقت الاجساد فقال اين تذهب
نار المصابيح عند فناء الادهان وهذان الجوابان جوابا اسكات تضمنا دليلا

اذ عاز وجة فهى وقيل له كم بين الدنيا والآخرة فقال يوم طراد للشمس

ومن غير هذا الغرض ان كان دونه فيما حكى ان ابليس لعنه الله حين تصدى

لعيسى بن مريم عليه السلام فقال الست تقول لن يصيبك الا ما كتب الله عليك

قال نعم قال فارم نفسك اذا من ذروة هذا الجبل فانه ان تقدر لك السلامة

تسلم فقال له يا ملعون ان الله ان يختبر عبده وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا

الجواب لا يستغرب من انبياء الله الذين امدهم بوحيه وايدهم بنصره وانما

يستغرب ممن يلحظه الخواطر ويجول عن بديهته فاذا اجتمع هذان الوجهان

في العقل المكتسب وهو ما ينميه فرط الذكاء بجودة الحدس وصحة

القريحة بحسن البديهة مع ما يفيده الاستعمال بطول التجارب ومرور الزمان

بكثرة الاختبار فهو العقل الكامل على الاطلاق من الرجل الفاضل بالاستحقاق وذلك

وذلك ان تنتهي قوة الغريزة الى ان تحس عواقب الامور ويقمع الشهوات

الداعية الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا احصلت هذه القوة سمي

صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في

العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة فهذا ايضا من خواص الاسماء التي بها

يتميز من الحيوان فالاول هو الاصل اعني الغريزة والثاني هو الفرع اعني العلوم

الضرورية والثالث هو فرع الاول والثاني اعني علوم التجارب اذ بقوة الغريزة و

والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية

القصوى فالاول بالطبع والاخيران بالاكتساب وحكي عن ساپور بن اردشير انه

قال

قال العقل عقلان احدهما مطبوع والآخر مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه
فنظم ذلك علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فيما احكي عنه فقال رأيت
العقل نوعين مسموع ومطبوع ∴ فلا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا
تنفع الشمس وضوء العين ممنوع فالاول هو المراد بقوله عليه السلام اول
ما خلق الله تعالى العقل الحديث والآخر هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي
بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بابواب البر فتقرب اليه
بعقلك وقوله لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من الله قربا قال بابي انت وامي كيف
لي بذلك فقال عليه السلام اجتنب محارم الله تعالى وأدّ فرائض الله
سبحانه تكن عاقلا وتنفل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا
رفعة وكرامة وتنل من ربك بها القرب والعز وقال عليه السلام
ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى
وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب رضي الله عنهما
وابو هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله من اعلم الناس فقال عليه السلام العاقل فقالوا من اعبد الناس
قال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت
مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه
السلام ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين
ان العاقل هو المتقي وان كان خسيسا دنيا وعن انس بن مالك

قال اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال كيف عقله فقالوا
يا رسول الله انه من عبادته انه من فضله فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله
نثني عليه بالعبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق
يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالمراتب على قدر عقولهم
وبالجملة من لم تكن بصيرة عقله ثاقبة لم يعلق به من الحزن الا قسوره وامتلاه
دون لبابه وحقايقه و اختلف الناس في العقل المكتسب اذا تزايد وزاد هل
يكون فضيلة ام لا فقال قوم لا يكون فضيلة لان الفضايل هيئات متوسطة بين
فضيلتين ناقصتين فما جاوز المتوسط خرج عن حد الاعتدال لقوله عليه السلام خير
الامور اوساطها وقالوا ان زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك
مذموم وصاحبه مذموم وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري
ان يعزل زياد اعن ولايته فقال زياد يا امير المومنين اعن موجدة ام خيانة فقال
لا عن واحدة منهما ولكني خفت ان احمل على الناس فضل عقلك و قال الحكماء
للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز
و قال اخرون وهو الاقولين زيادة العقل فضيلة لانه زيادة علم بالامور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص و روي عن
النبي عليه السلام انه قال العقل حيث كان الود مالوف وقال القاسم بن محمد كانت
العرب تقول مالم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر
عليه وقد قيل في منثور الحكم كل شي اذا اكثر رخص الا العقل فانه اذا اكثر غلا

وقد

واما الدهاء والمكر فمذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو صرفه
الى الخير لكان محمودا وقد ذكر الدفيرية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان والله
افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست
بالخب والخب عني الخب والله اعلم فصل واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك
عن العقل الغريزي لانه نتيجة منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب
فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالانوك الذي لا يوجد له
فضيلة والاحمق الذي قل ما يخلو منه رذيلة وقد روي عن النبي عليه السلام انه
انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه اذ حرمه اعز الاشياء اليه عنه عليه السلام
الاحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب وروى عطاء عن جابر قال كان في بني اسرائيل
رجل له حمار فقال يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري فهم به نبي من الانبياء
فاوحى الله تعالى اليه انما اثيب كل انسان على قدر عقله قال وكانت ملوك الفرس
اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ويقال ان الاحمق يحفظ من كل شيء الا من
نفسه ولذلك قال بعض الحكماء والحاجة الى العقل اكثر من الحاجة الى المال وقال بعض البلغاء
دولة الجاهل عبرة العاقل وقال الحوشي وان لبن رجمها اي شيء للمرء خير قال عقل يعيش به قال
ولم يكن قال فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فمال يتحبب به الى الناس قال فان لم
يكن فعي صامت قال فان لم يكن قال فموت جارف وفي كتاب العقد قال خطب وكيع بن ابي
سود وهو والي خراسان فقال ان الله خلق السماوات والارض في ستة اشهر فقيل انما في ستة
ايام فقال والله لقد قلتها وانا استقلها قال وخطب والي اليمامة فقال ان الله لا يقار عباده على

المعافي وقد اهدت له امه عطية في نافقة فنسيها وفيها مائتا درهم فسمي
مفوم النافقة قال ودخل قوم على كردم السدوسي فقالوا له ابن الفعلة في دارك هذه
فقال انما دخلنا اليها منذ ستة اشهر قال ونسي عامر بن عبد الله بن الزبير
عطاءه في المسجد وكان قد اوتي به فنساه فلما صار الى بيته قال يا غلام ات
ائتني بعطائي الذي نسيته في المسجد فقال وابن يوجد وقد دخل في المسجد
بعدك جماعة قال او بقي احد ياخذ ما ليس له قال وسرقت نعله فلم يلبس
بعد ذلك نعلا حتى مات وقال اكره ان يجيء من يسرقه فيأثم قال وفي هذا الفن
من الناس يقول ابو السختياني من اصحابي من يرجو بركة دعائه ولا اقبل
شهادته لحمقه قال كان الشعبي يحدث انه كان في بني اسرائيل عابد
جاهل قد ترهب في صومعة وكان له حمار يرعى حولها فاطلع من الصومعة فرآه
يرعى فرفع يديه الى السماء فقال يا رب لو كان لك حمار كنت ارعاه مع حماري وما
كان يشق علي فهم به نبي في ذلك الزمان فاوحى الله اليه دعه فانما سال
وانما اثيب كل انسان على قدر عقله هشام بن حسان قال اقبل رجل الى
الى محمد ابن سيرين فقال ما تقول في رؤيا رايتها قال وما رايت قال كنت رايت
ان لي غنما واعطيت بها ثمانية دراهم فابيت من البيع ففتحت عيني ولم ار شيئا
فاغمضتها ومددت يدي فقلت هاتوا اربعة فلم اعط شيئا قال ابن سيرين
لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال ابو بكر الذهبي قلت وفي كتاب
الماوردي قال وولي المهيع العاصي وكان من النوكى قاضيا باليمامة فاذ كلابا بكلاب

فقال

فقال فيه الشاعر ❊ شهدت بأن الله حق لقاؤه ❊ وأن ربيع العامري رقيع ❊
❊ أقاد لنا كلبا بكلب فلم يدع ❊ دماء كلاب المسلمين تضيع ❊ ومثل هذا من النوكى
مما لا يحصى كثرة اذ لا معنى للاكثار ومنها انه بحسب ما ينتشي من فضائل العاقل
كذلك يظهر من رذائل الجاهل حتى يصير مثلا في الغابرين وحديثا في الماضين وقد
وصف بعض البلغاء العاقل بما فيه من الفضائل فقال العاقل اذا والى بذل في المودة
نصره واذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله
ان احسن اليه احد ترك المطالبة بشكره وان اساء اليه مسيء سبب له اسباب العذر
او منحه الصفح والعفو والجاهل ضال مضل ان اونس تكبر وان اوحش
تكدر وان استنطق تخلف وان ترك تكلف مجالسته مهنة ومعاتبته محنة
ومحاورته تغر وموالاته تضر ومقاربته عمى ومقارنته شقاء وقال بعض البلغاء
ان الدنيا ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق وادبرت عن العاقل بالاستحقاق فان
اتتك منها سهمة مع جهل او فاتتك بغية مع عقل فلا يحملنك ذلك على
الرغبة في الجهل والزهد في العقل فدولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل
من الواجبات وليس من امكنه شيء من ذاته كمن استوجبه بآلاته وادواته
وبعد فدولة الجاهل كالغريب الذي يحن الى النقلة ودولة العاقل كالنسيب
الذي يحن الى الوصلة فلا يفرح المرء بحالة جليلة نالها بغير عقل ومنزلة رفيعة حلها
بغير فضل فان الجهل ينزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته
بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه هاجيا ووليه معاديا واما
العاقل فهو ابدا من عقله في ارشاد ومن رأيه في ازدياد فقوله سديد وفعله حميد

فالعقل ينبوع الاخلاق الفاضلة وراس الفضائل الكاملة وانشد بعض اهل الادباء وذكر
انها لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه : ان المكارم اخلاق مطهرة : فالعقل اولها
والدين ثانيها : والعلم ثالثها والحلم رابعها : والجود خامسها والعرف سادسها :
والبر سابعها والصبر ثامنها : والشكر تاسعها واللين عاشرها : والنفس تعلم
اني لا اصدقها : ولست ارشد الا حين اعصيها : والعين تعلم في عيني محدثها :
من كان من حزبها او من اعاديها : فصل وفي كتاب الغزالي قال اختلف
الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل
المبادرة الى التصريح بالحق فالحق الصريح ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة
المتقدمة سوى القسم الثاني وهو العلوم الضرورية من جواز الجائزات وا
ستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة
كون الجسم في مكانين في امثالها من النظائر التي تدرك ادراكا محققا من
غير شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها والى هذا اشار عمرو
بن مته رحمة الله في كتابه وزعم ان احمد بن الحسين مع من وافقه هم الذين ذهبوا الى
ان العقول متساوية وعلتهم في ذلك تساويهم في التكليف ولا معنى للاشتغال
باحتجاجهم في ذلك اذ من انكر التفاوت في غريزة العقل فكانه منخلع من ربقة
العقل ومن ظن ان عقل النبي عليه السلام مثل عقل بعض الجهال وهو اخس عقلا
من اوائل الجهال وكيف ينكر تفاوت الغريزة العقلية ولولا ذلك لما اختلف الناس
في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من
المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور

دون

دون التعلم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام
اذ تتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم واستماع ويعبر عن ذلك بالالهام و
كمثل المحدثين والمروعين كقوله عليه السلام ان لكل امة محدثا ومروعا فان يكن فيكم
فعمر والمحدث والمروع هو الذي يلقى في روعه وقلبه كانه يحدث وعن مثله عبر
النبي عليه السلام في قوله ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل رزقها وقوله ان روح القدس نفث في روعي احبب من شئت فانك مفارقه
وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وقوله عليه اتقوا
فراسة المومن فانه ينظر بنور الله والفراسة معناها الظن الصادق
وفي مثل ذلك يقول الشاعر :. الالمعي الذي يظن لك الظن كان قد راى وقد سمعا
:. فيصيب باعقاب الامور كانما يرى بصواب الراي ما هو واقع :. وهذا امر ظاهر
لا يخفى على ذي عقل وذكر الغزالي في كتابه ان غريزة العقل في اول ايجادها
مثل نور يبتدئ فيشرق على النفس عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد الى ان يتكامل
ما يقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه
ثم يتدرج في الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس فالتفاوت نور
البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاكمه وبين حاد البصر بل
سنة الله عز وجل جارية في جميع ما خلق بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة
لا تركز في الصبي دفعة بل تظهر شيئا شيئا على التدريج وكذلك جميع القوى
والصفات فالوجه الرابع تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام سال
رسول الله عليه السلام في حديث طويل فيه وصف عظم العرش وان الملائكة

قالت يا ربنا هل خلقت شيئا اعظم شيا من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ قدره
قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال عز وجل فاني خلقت
العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي
حبتين ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطي فرقا والفرق مكيال بالمدينة ستة
عشر رطلا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم اكثر من ذلك وبالله التوفيق قد
ذكرنا العقل واقسامه وحقيقته فلنرجع الى ذكر العلم وتفاصيل ابوابه ان شاء الله

ذكر فضل العلم وتفصيل ابوابها العشرة

الباب الاول في فضل العلم

فاما بيان فضله فعلى خمسة اقسام من الكتاب والسنة والاثار والمعاني و
الحس اما الكتاب فاي كثيرة منها قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فبدا بنفسه وثنا بملائكته وثلث
باولي العلم من عباده فبدا لهم بنفسه وملائكته بدا والتشريف تشريفا
وتعظيما فناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا وقوله تعالى شهد
الله بانه والشهادة لا تكون الا بالعلم دون الجهل والشك والظن قال تعالى
الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فقال اهل العلم لعمر بن الخطاب يرفع الله الذين امنوا منكم
درجة والذين اوتوا العلم درجات وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال للعلماء درجات فوق المومنين سبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس
مائة عام وقوله تعالى يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا

فقوله

بقوله من يشاء تخصيص ولم يكتف بقوله خيرا حتى قال كثيرا وهذا نهاية في
الفضل والتعظيم وقال سبحانه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فمنع من المساواة ما بين العالم والجاهل لما خص به العالم من فضيلة العلم وقال
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فنفى ان يكون غير
العالم يعقل عنه امرا ويفهم عنه زجرا وقال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء فاخبر سبحانه انه انما يحصل الخوف في قلوب العلماء خاصة
لانهم اعلم به دون الجاهل وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب وقال جل وعلا قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به
تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى و ويلكم ثواب الله خير يشير
تعالى ان عظم قدر الاخرة انما يعلم بالعلم وقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد تعالى حكمه في الوقايع الى
استنباط اهل العلم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقيل
في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني العلم
وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم
وقال بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم درجات وقال الرحمان
علم القران خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان وقال سبحانه
لنبيه عليه السلام وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال في الد
نيا تحقيرا وتزهيدا فيها قل متاع الدنيا قليل وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا اصنافا من الناس منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها نهى نبيه

وقال الذين اوتوا العلم

عليه السلام ان ينظر الى الدنيا بعين الرغبة وقال له في العلم امرا بالرغبة فيه
والزيادة منه وقل رب زدني علما فلو كان معنى افضل من العلم لامره بالرغبة فيه
والزيادة منه فلما كان النبي عليه السلام اكرم الخلق عليه وافضلهم لديه
اختار له افضل المعاني واعزها واشرفها وهو العلم وقال تعالى في فضل العلم
في قصة موسى والخضر عليهما السلام واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى
ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا مع ما انطوت عليه القصة من قطع البلاد في طلبه
وركوب المشاق ولقاء النصب في سفره الى علم يتعلمه ممن قال انه اعلم اهل
الارض فلما بلغ مجمع البحرين وجد الخضر عليه السلام فقال له مستلطفا مستعطفا
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فكان من قصتهما ما ذكره الله تعالى في
كتابه وقال ايضا في فضله في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وتفقده
الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد الى قوله لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه الى اخر
القصة توعده لما تفقده بالعذاب الشديد وبالذبح فلما اتاه قال احطت بما لم
تحط به الى قوله من الكلام فلا معنى اعز واشرف من العلم فلذلك اختاره لاحب
الخلق اليه واكرمهم عليه وغير ذلك من الآي كثير في كتاب الله تعالى تركناها مخافة
التطويل فصل واما السنة فباحاديث كثيرة منها ما رواه جابر بن زيد
عن ابن عباس عن النبي عليه السلام انه قال طالب العلم عند الله افضل من الصلاة
والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال عليه اذا حضرت الجنازة وحضر
مجلس العلم فاذا كان من يكفيها ويدفنها فان حضور مجلس العالم افضل من حضور
الف جنازة وعيادة الف مريض ومن صلاة الف ركعة ومن صيام الف يوم وصدقة الف

درهم

درهم ومن الف حجة سوى حجة الفريضة ومن الف غزوة سوى غزوة الواجبة
تغزوا بها في سبيل الله بمالك ونفسك فانفع من هذه المشاهد من شهد مجلس
العالم اما علمت ان الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم فخير الدنيا والاخرة مع العلم وشر
الدنيا والاخرة مع الجهل فقال رجل فقراءة القرءان يا رسول الله فقال عليه السلام
ويحك ما قراءة القرءان بغير علم وما الحج بغير علم وما الجهاد بغير علم اما بلغك
ان السنة تقضي على القرءان والقرءان لا يقضي على السنة وعنه عليه السلام انه
قال العلم بالتعلم والخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
ويلهمه رشده وعنه صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبيا ومعلوم
انه لا رتبة فوق النبوءة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وعنه
عليه السلام من طريق جابر ابن زيد انه قال ليوم واحد من العالم الذي يعلم الناس افضل
عند الله من عبادة العابد مائة سنة وان العالم الذي يعلم الناس العلم فيستغفر له
اربعة اشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والهوام في البر والحيتان في
البحر وان العالم الواحد اشد على ابليس من الف مومن عابد واي شرف يزيد على شرف
من تستغفر له ملائكة السماء ودواب الارض فهو مشغول بنفسه وهم
مشغولون بالاستغفار له ومن طريق ابي هريرة ان النبي عليه السلام قال
للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وروى انس
عن النبي عليه السلام انه قال ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى
تجلسه مجالس الملوك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال التفقه
في الدين حق على كل مسلم الا فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا وروى

وسلمان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين
ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه
وروي ابو امامة قال سئل النبي عليه السلام عن رجلين احدهما عالم والاخر عابد
فقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على احدكم رجلا ابو ايوب الانصاري
قال قال النبي عليه السلام باب واحد يتعلمه المومن خير له من عبادة سنة وخير
له من عتق رقبة من ولد اسماعيل عليه السلام وان طالب العلم والمراة المطيعة لزوجها
والولد البار لوالديه يدخلون الجنة بغير حساب وعن الوضاح بن عقبة قال حفظ مسالة
خير من عبادة الف سنة ومن كتاب الضيا قال وحفظ مسالة من ساير العلوم خير من عبادة
ستة وقال ابو محمد حفظ مسالة تعدل عبادة ستين سنة وهي الحق على الانسان
فرض مثل التوحيد وما لا يسع جهله ومن نسخ العلم ليتعلمه ويحفظه فهو افضل
من الصوم والصلاة بعد اداء الفرايض وتعليم باب افضل من ماية ركعة وعن
كتاب حياة القلوب قال وروي عن النبي عليه السلام انه قال باب من العلم يتعلمه
الرجل خير له من الدنيا لو كانت لقمة في فيه فيضعها في الاخرة وعنه عليه السلام
قال خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وعنه عليه السلام من طريق جابر
بن زيد رضي الله عنه انه قال فضلتان اجتمعتا في منا بن خمس سنة وفقه في الدين
ولا تشكن في الحديث انعا ف بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي
ظننته وسياتي معنى الفقه ان شاء الله اد فاد رجات الفقه ان يعلم ان الاخرة خير
من الدنيا وهذا المعرفة اذا اصففت وغلبت عليه برات نه من النفاق والريا
ان شاء الله وعنه عليه السلام قال افضل الناس المومن العالم الذي اذا

حتيج

25

منيح اليه نبع وان استغنى عنه اغنا نفسه وعنه عليه السلام قال الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقيل اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد واطلب العلم حتى تتكسر العصا وتتخرق النعلان وعنه صلى الله عليه وسلم قال اقرب الناس من درجة النبوءة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال موت قبيلة ايسر من موت عالم وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد بخس حقه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله فيها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال عليه السلام فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان كذلك لان العلم يبعث على فضل العبادة واما العبادة فقد لا تكون عبادة مع خلوها من العلم وعنه عليه السلام قال الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وعنه عليه السلام يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء وعنه عليه السلام قال من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ومن حمل على امتي اربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما وعنه عليه السلام من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وعنه عليه السلام قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة تتلو النبوءة

يقتلوا الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وعنه عليه السلام قال يبعث الله العباد
يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا
لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم رواه الثعلبي في كتابه
وعنه عليه السلام انه قيل له يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال عليه السلام
العلم بالله سبحانه قيل اي الاعمال تريد يا رسول الله قال العلم بالله سبحانه فقيل
نسألك عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم
وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير
في جهل وعنه عليه السلام قال اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام اني عليم احب
كل عليم وعنه عليه السلام انه قال العالم امين الله في الارض وقال عليه
السلام صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء وعنه عليه السلام
اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس
ذلك اليوم وعنه عليه السلام قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وفضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم
مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد
لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وعنه عليه
السلام قال فضل المومن العالم على المومن العابد بسبعين درجة وفي خبر
اخر ما بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة

وعنه

26

وعنه عليه السلام انه قال انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سايلوه كثير معطوه وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سايلوه العلم فيه خير من العمل وروى الخزاعي عنه عليه السلام انه قال فضل قليل العالم احب الي من عبادة سنة وعنه عليه السلام الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي والاشتغال هذا من الاحاديث كثير واما الاثار فروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه بان تهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله عز وجل علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وعن الحسن قال يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال الحسن في قوله عز وجل ربنا اتنا في الدنيا حسنة قال هي العلم والعبادة وفي الاخرة حسنة قال هي الجنة وقال مصعب بن الزبير لابنه تعلم العلم فان كان لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتنيها قال الشيء الذي اذا غرقت سفينتك سبح معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر له والادب مال لا خوف عليه وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال بعض البلغاء تعلم العلم

فانه يقومك ويسددك صغيرا ويقومك وينبهك كبيرا ويصلح زيغك ويسد
دك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك ويصحح همتك واملك
وقال بعض العلماء من شرف العلم ان كل من نسب اليه العلم ولو في شيء حقير
فرح ومن دفع عنه حزن وقال كميل بن زياد اخذ بيدي علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ورضي عنه فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما تنفس الصعداء ثم قال لي
يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها للخير يا كميل احفظ عني ما اقول
الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق وقال ان ههنا لعلما جما واشار
بيده الى صدره لو اصبت له حملة بلى قد اصبت لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين
في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله وكتابه وبنعمه على معاصيه او منقادا لاهل الحق
لا بصيرة له في احنائه يقتدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا يدري اين الحق
ان قال اخطأ وان اخطأ لم يدر مشغوف بكلام بز عنه بدله فيهما بالصوم والصلاة
فهو فتنة لمن افتتن بعبادته وان من الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلا
ان لا يعرف دينه وان من ابغض خلق الله اليه عبدا وكله الله الى نفسه لا لا ذا ولا ذاك
او من هو منهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات او مولعا بجمع الاموال والا
دخار منقاد للهوى وليس من دعاة الدين اقرب شبها به الانعام السائمة كذلك
يموت العلم بموت حامليه ثم قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله عز وجل بحجة اما

ظاهرا

ظاهرا مشهورا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته بكم واين اولئك
اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعها في قلوب
اشباههم يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه
النفقة والعلم يزكو بالانفاق يا كميل محبة العالم دين يدان الله به تكسبه الطا
عة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم
حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما
بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة هجم بهم العلم على
حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون و
انسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى يا كميل اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا
الى رؤيتهم وقال ايضا العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم
ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف مثله وقال ايضا نظما هو او غيره :.

:. الناس من جهة التمثيل اكفاء :. ابوهم ادم والام حواء :. نفس كنفس وارواح
مشاكلة :. واعظم خلقت فيهم واعضاء :. وان يكن لهم في اصلهم شرف :.
:. يفاخرون به فالطين والماء :. ما الفضل الا لاهل العلم انهم :. على الهدى لمن استهدى
ادلاء :. الناس اموات واهل العلم احياء :. الناس مرضى وهم فيهم اطباء :.
:. الناس ارض واهل العلم فوقهم :. سما ونورا وما في النور ظلماء :.
:. قل للذي يدعي في العلم معرفة علمت شيئا وغابت عنك اشياء :.

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ∴ والجاهلون لاهل العلم اعداء

وقدر كل امرئ ما كان يجمله ∴ وللرجال على الافعال اسماء

وقال ابو الاسود الدؤلي ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء
حكام على الملوك وقال علي رضه قيمة كل امرئ ما يحسن وقيل لبعضهم هل العلم افضل
ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى
الاغنياء على ابواب العلماء فقال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعته وجهل الاغنياء بفضل
العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال فقال لعز الكمال وقال ابن المعتز
في منثور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم
لانه لم يكن عالما وهذا عنهم ولاجله انصرفوا عن العلم واهله انصراف الزاهدين
وانحرفوا عنه انحراف المعاندين لان من جهل شيئا عاداه قال الله سبحانه بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
ولذلك قال يحيى بن خالد لابنه يا بني عليك بكل نوع من العلم فان المرء عدو ما
جهل وانا اكره ان تكون عدوا لشيء من العلم بعض شعر ∴ تفنن وخذ من كل علم
فانما ∴ يفوق امرؤ في كل فن له علم ∴ فانت عدو للذي انت جاهل به ∴ ولعلم
انت تتقنه سلم ∴ وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء فقيل من الملوك
قال الزهاد وقيل من السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير اهل العلم من الناس
وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء فات من ادرك العلم واي شيء فات من
ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء

يموت

فيموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا امتنع عنه الحكمة ثلاثة ايام فيموت ولقد صدق

فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسم الطعام ومن فقد

العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل

احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا

فاذا حط الموت عنه اثقال الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك

كاحساس المفيق من سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله

من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وفي هذا المعنى ؞ ؞

؞ وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ؞ فاجسامهم قبل القبور قبور ؞

؞ وان امرءا لم يحي بالعلم ميت ؞ فليس له حتى النشور نشور ؞

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال

والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

انه قال ايها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من

العلم رداه الله عز وجل بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك

وان تطاول به ذلك الذنب وعن الاحنف بن قيس قال كاد العلماء ان يكونوا اربابا

فكل عز لم يوكد بعلم فالى ذل يصير وفي وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء

وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض

بوابل السماء وقال بعض العلماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في

الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره قال ووقع بعض المتعلمين بباب عالم

ثم لما اقتصروا عليها بما يقتضيه ولا يسعهم نفسها فما خرج له طعام ونفقة فقال فاقتنيه
ر الى تلاميذه انشد من جنبي الى طعامه لنبي طالب هذى كلامه اين نذرى فاذن له العالم
واباه من كل ما سأل فخرج حتى الان فيها وهو يقول علما وفخ لبسها فيه من مال اعتنا
نفسا **فصل واما فضل العلم من جهة** المعاني والعقل اما
من جهة المعاني فوجوه كثيرة ايضا وذلك ان الله سبحانه قال في كتابه قل متاع
الدنيا قليل فقللها وصغرها مع ان العقلاء والناس عليها يقتتلون بكل الافعال
وفيها يتنافسون كل التنافس وعظم العلم وجعله خيرا كثيرا فاذا كان هذا
القليل الفاني يتنافس الناس فيه هذا التنافس ويقتتلون هذا القتال عليه
ويطلبونه هذا الطلب فهذا المعنى الذي شرفه الله وعظمه وجعله خيرا كثيرا
اولى بالتنافس فيه وكثرة الحرص عليه والطلب له اذ فيه عز الدنيا والاخرة والحياة
الابدية والنجاة في العاجل والاجل وايضا فانه سبب النجاة من المهالك في الدنيا
والاخرة لان المعاصي فيها الهلاك في الدنيا والاخرة والطاعة فيها النجاة في الدنيا
والاخرة ولا يتوصل الى معرفة الطاعة والمعصية الا بالعلم و الدليل على فضل العلم من جهة
العقل ايضا ان العلم سبب سعادة الانسان في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء جهال العرب والعجم
يكادون بطباعهم مجبولة على التوقير لمشايخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد
من التجربة بل البهيمة من طبعها توقير الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها
واما في الاخرة فمعلوم ان العلم وسيلة الى السعادة الابدية وذريعة الى القرب

محذر

من رب العالمين وان اعظم الاشياء في حق الادميين ما دام وسيلة الى ذلك ولن يتوصل الى القرب
منه عز وجل الا بالعمل والعلم ولا يتوصل الى كيفية العمل الا بالعلم فاصل السعادة في الدنيا
والآخرة هو العلم فهو ايضا افضل الاعمال وقد سئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء ولم
يجعل غيرهم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس على ساير البهايم هو العلم فقيل
للانسان انسان بما هو شريف من اجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه
ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بكثرة الاكل
فان الجمل اوسع بطنا منه ولا بقوة شهوة الجماع فان اخس الطيور اقوى منه سفادا
بل لم يخلق الا للعلم وبالله التوفيق **واما من جهة المحسوس**
فان هذه الصنايع كلها التي جعل الله فيها قوام المعيشة والاديان من بناء وحراثة
وخياطة الى غير ذلك من اصناف المنافع لو جهل الناس ذلك كله لاختل امرهم ومعا
شهم وانحرفت المنافع وهلك الجميع ثم راينا افراد هذا الانسان العالم بالصنعة
يكتسب منها الخير ويجلب بها منافع كثيرة والجاهل بالصنعة لا يجلب منفعة قد
تعطل من جميع المنافع وضاع واحتاج واختل امر عيشه ولا تجد بلدا يستغني من علم شيئا
من جهله قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وايضا فان الكلب
المعلم قتله للصيد ذكاة له واباحة لاكله وغير المعلم يجيف الصيد ويفسده فيحرم
اكله وكذلك العالم العامل انما تصح عبادته بعلمه والجاهل لا تصح عبادته لانه عمل بالجهل
فاجاف العبادة وافسدها كما ان الكلب غير المعلم اجاف الصيد وافسده فحرم اكله وغير
ذلك من المعاني المحسوسة في فضل العلم كثير وبالله التوفيق **الباب الثاني**

في فضل التعلم والتعليم وفي هذا الباب فصلان الاول في فضيلة التعليم اما الايات
قال الله سبحانه وما كان المومنون لينفروا كافة الى قوله ولينذروا الاية وذلك
فيما وجدت في الاثر ان الناس في عهد النبي عليه السلام يخرجون جميعا في الجهاد
فنزلت هذه الاية فامر الله تعالى في التعليم ان يقيم بعضهم وينفروا بعضهم فتفرق
الغزاة فيخبرهم القاعدون بما احدث الله على نبيه عليه السلام وذلك قوله
ليتفقهوا في الدين الاية وقال تعالى ايضا فسئلوا اهل الذكر الاية واما الاحاديث
الواردة في التعلم فكثيرة لقوله عليه السلام من طريق جابر بن زيد عن انس بن مالك
عن رسول الله عليه السلام قال اطلبوا العلم ولو بالصين والصين اقصى بلاد التوحيد
فلما اوجب طلب العلم بالصين دل على ان طلبه فيما دون ذلك اكد واوجب ومن طريقه
عنه عليه السلام انه قال ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا لما يطلب قال
الربيع عن ابي عبيدة رحمهم الله وضع الاجنحة من الملايكة بدل من رفع الايدي في الدعاء
ومن طريق ابي هريرة عنه عليه السلام من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له
طريقا الى الجنة وعنه عليه السلام من طريق جابر بن زيد انه قال من تعلم العلم لله عز
وجل وعمل به حشره الله يوم القيامة امنا ويرزقه الورود على الحوض وعنه عليه السلام
قال لان تغدوا فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة وعنه عليه السلام قال
باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وعنه عليه السلام طلب العلم فريضة على كل
مسلم وعنه عليه السلام قال العلم خزاين مفاتيحه السؤال فسئلوا فانه يوجر فيه
اربعة السايل والعالم والمحب لهم وعنه عليه السلام قال لا ينبغي للجاهل ان يسكت عن

جهله

عمله وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض
وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل
ينفع القرآن الا بالعلم وعنه عليه السلام قال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي
به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة واحدة واما الآثار فيروى عن ابي الدرداء
انه قال لان اتعلم مسألة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الاجر
وسائر الناس همج لا خير فيه وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك
وقيل لكسرى انوشروان ما بالكم لا تستكثرون من العلم شيئا الا زادكم عليه حرصا فقال
لانا لا نستكثر منه شيئا الا ازددنا بفضل منفعته علما قيل ما بالكم تانفون من التعلم
من كل احد قال لعلمنا ان العلم نافع من حيث اخذ وعن سعيد بن جبير قال كنت عند ابن عباس جالسا
اذ اتاه اهل التفسير فسالوه واتاه اهل الفقه ان فقهوا عليه ثم اتوه اهل الحلال والحرام فسالوه
ثم جاء اهل الشعر والعربية فسالوه فاخبرهم حتى جاءه فوج من اهل فارس فسالوه عن
وقعتهم واسفنديار فحدثهم حديثهم فقمت اليه فقبلت راسه فقلت يا ابن عم رسول الله
عليه السلام ما على الارض اعلم منك فتبسم وعن ابن عباس قال ذللت طالبا فعززت مطلوبا
وعن محمد بن كعب القرظي قال سمعت ابن عباس يقول والله لربما مررت بالآية من كتاب الله
عز وجل في جوف الليل فلا اعرف فيمن انزلت فاغدو ثوبي ثم آتي المسجد واصحاب رسول الله
عليه السلام واوقف الرجل منهم واسئله فيمن نزلت آية كذا وكذا فان لم اجد عند واحد منهم
ايقنت آخر كذلك حتى امر عليهم جميعا وربما غدوت عليهم فامر بالمهاجرين فاسئلهم فان لم اجد
عندهم اتيت الانصار فاتبعهم رجلا رجلا حتى اخرج حاجتي وكان فيما بلغنا ينام على ابواب الصحابة

في الصواب حتى تلمع وجهه للتعلم منهم وكان له قلب عقول ولسان سؤول حتى
جاء اهل زمانه علما وفقها ويسمونه البحر لما فيه من كثرة فنون العلم ويقال انه
نعم ذات يوم مع اصحابه فقال لهم سلوني ما دون السماء السابعة والارضين السفلى
اخبركم به ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس
وجها فاذا تكلم فافصح الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما ولما مات قال جابر
بن زيد اليوم دفن رباني هذه الامة وقال بعض العلماء تعلموا فاذا تعلمتم فاعملوا
وعلموا وقال اذا تعلمتم علما فاحفظوا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بباطل فتمجه القلوب
وقال بعض الحكماء لبنيه تعلموا العلم فان لم تنالوا به في الدنيا حظا فلان يذم الزمان
لكم خير من ان يذم بكم وعن الاصمعي قال رءاني اعرابي في البادية وانا اطلب العلم فقال
يا اخا الحضر عليك بلزوم ما انت فيه فان العلم زين في المجلس وصلة الاخوان وصاحب
في الغربة ودليل على المروءة ثم انشأ يقول ∴ تعلم فليس المرء يولد عالما ∴ وليس اخو علم
كمن هو جاهل ∴ وان كبير القوم لا علم عنده ∴ صغير اذا التفت عليه المحافل ∴ الابيات
المشهورة قال ورءاني اعرابي اكتب كل ما اسمع فقال ما انت الا الحفظة تكتب لفظ
اللفظة قال ورءاني اعرابي آخر وانا اكتب كل ما سمعت فقال انت تتبع الكلمة الشاذة
قال بعضهم رءا اعرابي رجلا من قريش يطلب الادب فقال له اطلب الادب فانه دليل على المروءة
وزيادة في العقل وصلة في المجلس وانشد ∴ من كان للدهر قرنا في تصرفه ∴ اصبحت
له صفوة الايام تجي بلا ∴ من كان تخلوا من الاداب سيرته ∴ كل الليالي والايام قاديا ∴ ويقال
الادب نوعان ادب درس وادب نفس وهو افضلها ∴ وانشد ∴ ∴ ∴ ∴ ∴

ابر

ادب النمو كالح ودع ما سواه فجد شر الملح ؛ لو وزنتم بالحديث واصواتها ادب من
نحو في الجهل رجح ؛ فصل ويروى ان النبي عليه السلام جاءه رجل من
مراد يقال له صفوان بن عسال المرادي وهو متكئ على برد له احمر في المسجد فقال
يا رسول الله جئت اطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم لتحف به
الملائكة وتكنفه باجنحتها ثم يركب بعضهم على بعض حتى تبلغ قوايم العرش
فيستغفرون له ويصلون عليه ويترحمون عليه لمحبتهم بما يطلب صلوات
عليهم ؛ ابو امامة الباهلي عنه عليه السلام قال يا ايها الناس عليكم بالعلم
قبل ان يرفع وقبل ان يقبض فالعلم كهاذه من هذه وجمع بين اصبعيه الوسطى
والتي تليها شريكان في الخير ولا خير في ساير الناس بعدهما وعنه عليه السلام
قال من خرج من بيته يريد مسجدي هذا لا يريد الا ليتعلم خيرا او يعلمه كان بمنزلة
المجاهد في سبيل الله قال وصح عنه عليه السلام انه كان يقول ان الموت
اذا جاء طالب العلم على هذه الحالة مات شهيدا وعنه عليه السلام قال
اذا جلس العالم على فراشه فنظر في علمه ساعة كان افضل من عبادة المومن عاما
واحدا وعنه عليه السلام قال كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين
فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى او يردكم عن الردى وعن معاذ
بن جبل رحمه الله قال في التعلم والتعليم ويقال انه مرفوع الى النبي عليه السلام
انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس
في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقر
يب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير

قادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى
بفعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم
وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه
والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلمة وقوة
الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار ومجالس الملوك والدرجات العلى
في الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته تعدل بالقيام به يطاع
الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام
ويعرف الحلال والحرام هو امام والعمل تابعه يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء

الفصل الثاني في التعليم اما الآيات قال الله تعالى ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم والمراد بذلك هو التعليم والارشاد وقال سبحانه واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه في هذه الآية ايجاب
التعليم وقوله عز وجل وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم
الكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال سبحانه ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال سبحانه ادع الى سبيل ربك بالحكمة الآية وقال
تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة **واما** الاحاديث فروي عن النبي عليه السلام
انه قال ما آتى الله سبحانه عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين
ان يبينه للناس ولا يكتمه وعنه عليه السلام لما بعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن
قال لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من الدنيا وما فيها **و**قال عليه السلام فيما
حكي عنه من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا وعن
عيسى عليه السلام انه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت
السماء

السماوات وعن النبي عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة يقول الله
عز وجل للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجا
هدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا فيشفعوا و
يشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعالم المتصدي للتعليم لا العالم
الذي لا يتصدى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينزع العلم انتزاعا
ينتزعه من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب العلم بذهاب العلماء فكلما
ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا
جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وعنه عليه السلام
انه قال من كتم علما علمه الله اياه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وعنه
عليه السلام قال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي
عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وملائكته واهل السماوات والارض حتى النملة
في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وعنه عليه السلام
قال ما افاد المسلم المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه اياه
وعنه عليه السلام قال كلمة من الخير يسمعها المومن فيعمل بها ويعلمها
خير له من عبادة سنة وروي انه عليه السلام خرج ذات يوم في مجلسين
احدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما
هؤلاء فيسئلون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء
فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم فجلس معهم وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثني الله عز وجل به من العلم والهدى كمثل

الغيث الكثير اصابه ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله سبحانه بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طايفة قيعانا لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فالاولى مثلا للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم منه وعنه عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاثة علم ينتفع به الحديث وعنه عليه السلام الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعنه عليه السلام انه قال لا تمنع العلم اهله فان في ذلك فساد دينكم والتباس بصايركم ثم قرأ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الاية وعنه عليه السلام قال اخ الصدقة المرء في امتي بعلم العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين ؞ ويتشرف الخطوبة بالعبيع ؞ فالم يكن عليه يشينه ؞ والعلم اجمل ما ابتغى ؞ من كل منقبة تزينه ؞ واما الاثار فروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل بين الله تعالى وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت له ما يبكيك قال ليس احد يسالني عن شيء وقال بعض السلف العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم يعني يخرجون الناس بالتعليم من حد البهيمة الى حد الانسانية وقال بعضهم مشايخنا رحمهم الله من سنة العالم فانه يوزن له

همته

سبعة اميال من ست جهات بان مات فى ذلك مات شهيدا قالوا والمبغة فى طلب
العلم افضل من المبغة فى الجهاد وقال النظر الى الكتاب عبادة قالوا ان وقعت له حروب
فكان فى ترددها فانه فى ذلك الوقت كالمتشحط بدمه فى سبيل الله و
نفسه فى ذلك الوقت تسبيح وتقليبه الورقات كالمتقلب من نوع
المترعة فى سبيل الله وحكى عن عكرمة قال ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو
قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا تضيعه وعن يحيى بن معاذ قال العلماء ارحم
بامة محمد عليه السلام من ابائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان اباؤهم
وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وبالله التوفيق
فصل وينبغي للانسان بل يجب عليه فرضا ان يتعلم دينه لان بمعرفة
دينه والعمل به يستوجب الرضوان من ربه وبجهله يستوجب الخسران
من خالقه اذ لا تنفع عبادة وفاعلها يجهل صفات ادائها ولم يعلم شروط اجزائها
ولذلك قال عليه السلام عمل قليل فى علم خير من عمل كثير فى جهل ويقال ركعتان
من عالم افضل من عبادة الجاهل سنة وسكتة من عالم خير من عبادة الجا
هل سنة وذكر عن ابى محمد قصيب بن ابراهيم رحمه الله انه اجتاز على
معلم فى بلاد تنومات عند ابى الربيع سليمان العلوني رحمه الله فقال له العلم
اين تربيع فاخبره فقال له خيرا فخير الدنيا كلها ظلمة الا العلم والعالم
فقال ليس ركعتان من عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة وعبادة الجاهل
كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح وقال بعض مشايخنا رحمهم الله من لم تكن فيه
خصلة من خصال ثلاثة فحيا تدكسا يرا لناس والبهايم توطين النفس على الحج

كما فعل جابر بن زيد رحمه الله واضب عليه حتى حج اربعين حجة وتوطين النفس على الشهادة في سبيل الله كما فعل ابو بلال مرداس بن حدير رحمه الله والثالث

توطين النفس على طلب العلم والافادة كما فعل ابو عبيدة مسلم ابن ابي كريمة رحمه الله مكث في التعلم اربعين سنة ثم مكث بعد ذلك في التعليم

اربعين سنة اخرى وروي عن ابي يوسف وجدول التنزغيي انه مكث في التعلم

بعدما ولد خليل ابنه ثمان عشرة سنة ويقال انه مكث في طلب العلم اثنين

وثلاثين سنة خمسة عشر عمره في حمل الكباوي وسبعة عشر سنة عمل

ابي يحيى الرهووان ابا زكرياء الجناوي رحمه الله مكث في التعليم اثنين وثلاثين

سنة والله اعلم وقال بعض الحكماء والناس ثلاثة فروة ومفتح

والثالث لا يفلح وقال الزهري الناس ثلاثة عالم ربيع ومتعلم منتفع

وما سواهما متنفع وعن علي كرم الله وجهه عن النبي عليه السلام قال ما

انتعل عبد قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا ليغدو في طلب العلم الا غفر له حيث

يخطو عتبة باب بيته ويقال اطلبوا العلم فان نعمة الجاهل كروضة على

مزبلة وقال بعض العلماء كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحا وقال

اطلبوا العلم من مظانه اي من مواضعها التي يضربها ويقال اول العلم

الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهله

وتعلم من يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت

وقال عطاء مجلس الذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر

رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون من موت عالم بصير بحلال

الحرام

الله وحرامه وقال بعض العلماء طلب العلم افضل من النافلة وقال ابو الدرداء من
رأى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله وقال النبي عليه
السلام لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها ورجل
آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق واما الدليل على فضيلة التعلم و
التعليم من شواهد العقل ومن كتاب الغزالي فانه لما كان العلم افضل الاشياء كان تعلمه
طلبا للافضل وكان تعليمه للغير افادة لافضل الغير وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة
في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا لان الدنيا مزرعة للآخرة وهي المطية
والآلة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة ومطية ومنزلا لا لمن اتخذها مستقرا
ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في
ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام للخلق الا بها وهي اربعة الزراعة للمطعم والثانية
الحياكة وهي للملبس والثالث البناء وهو للمسكن والرابع السياسة
اي الحاكم بين الناس وهي للتآلف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة
وضبطها الثاني ما هي مهيئات لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة
لها كالحدادة تخدم الزراعة وجملة من الصناعات وكالحلاجات والغزل فانها تخدم
الحياكة باعداد عملها الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحانة
والخبز للزراعة وكالقصارة وكالخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام الحيوان
الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اما اصول كالقلب والكبد والدماغ
واما خادمة له كالمعدة والعروق والشريانات والاعصاب واما مكملة لها ومزينة واشرف
اصولها السياسة بالتأليف والاصلاح ولذلك يستدعي لا محالة صاحب صناعة

السياسة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق
المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة تنقسم على اربعة مراتب الاولى وهي
العليا سياسة الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وحكمهم على الخاصة
والعامة في ظاهرهم وباطنهم **الثانية** سياسة الخلفاء والملوك والسلا
طين على الخاصة والعامة جميعا لكن على ظاهرهم لا على باطنهم **والثالثة** سياسة
العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة
فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف
في ظواهرهم بالالزام والمنع **الرابع** سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن
العوام فقط واشرف هذه السياسة الاربع بعد سياسة النبوة افادة
العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم
الى الاخلاق المحمودة المسعدة المنجية وهو المراد بالعلم قال وانما قلنا ان هذا
اشرف من سائر الصناعات لان شرف الصناعات يدرك بثلاثة امور اما بالالتفات
الى غريزة العقل التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية اذ تدرك الحكمة
بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع
كفضل الزراعة على الصياغة **واما** بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل
الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر الميتة وليس يخفى ان
العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما يدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل
اشرف صفات الانسان كما تقدم اذ به تقبل امانة الله عز وجل يوصل الى جوار الله
سبحانه واما عموم النفع فلا يستراب فيه اذ ثمرته سعادة الآخرة واما شرف

المحل

الجهل ويذيب نجيعا والعلم متفرق في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض
جنس الانسان واشرف جزء من شخص الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته
وسياقته وتطهيره الى القرب من جوار الله سبحانه بتعليم العلم من وجه عبادة الله
تعالى ومن وجه خلافة الله عز وجل وهو اجل خلافة لان الله سبحانه قد فتح على قلب
العالم خزانة العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون
في الانفاق على كل محتاج اليه فاي رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين
خلقه في تقريبهم الى الله عز وجل وهديهم الى الجنة المأوى وبالله التوفيق **الباب**
الثالث في فرض العين اعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة
بجميعها محال ولذلك قال النبي عليه السلام من ظن ان للعلم غاية فقد بخسه حقه وو
ضعه في غير منزلته التي وصفه الله تعالى بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا و
قال سبحانه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى قوله ما نفدت كلمات الله وقال بعض
الحكماء لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدانا العلم بالنقيصة واذا كنا نطلبه
لننقص كل يوم من الجهل ونزداد كل يوم من العلم وقال بعض العلماء المتقدمين في العلم
كالسابح في البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا **وينشد** يا نفس خوضي
بحار العلم او غوصي ؞ فالناس ما بين معموص ومخصوص ؞ لا شيء في هذه
الدنيا تحيط به ؞ الا الاحاطة منقوص عنقوص ؞ فاذا لم يكن الى معرفة جميع
العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها
واولى العلوم واوجبها على الانسان علم دينه لان الناس بمعرفته يرشدون و
بجهله يهلكون لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل محتلم وفي حديث اخر

على كل مسلم وقوله اطلبوا العلم ولو بالصين وفي كتاب الغزالي قال اختلف الناس
في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة قال ولا نطول بذكر
التفصيل وحاصله ان كل فريق نزلت الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون
هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء
هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا
به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم القرآن
والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال بعض الصوفية هو علم العبد بحاله
ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة
الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك
وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي
فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان الواجب
هذه الخمسة فيجب العلم بكيفية العمل فيها وكيفية الوجوب والحق في هذا ان العلم
المفروض على الانسان الذي هو القطب وعليه المدار هو في الجملة ينقسم ثلاثة اقسام
اعتقاد وفعل وترك اما علم الاعتقاد فهو علم التوحيد وجميع ما لا يسع جهله كل
عاقل عند حال بلوغه بالاحتلام او بالسنين ومعرفة فرائض القلب من الاخلاص والنية
والتوبة والخوف والرجاء والتوكل والتفويض والرضا والصبر وما يسلم به العمل على
ما سياتي ان شاء الله ومعرفة التنزيه وما ينفيه عن الله تعالى مما لا يليق به من صفات خلقه
اذ ورد ذلك على قلبه او سئل عنه وكذلك يجب عليه معرفة جوائح الشيء من الرياء والحسد
والعجب والكبر وغير ذلك من مذموم احوال القلب فان التمادي في غير ما يمكن ذلك لا يبقى معه

ولو دها

حدودها واسبابها ومعرفة علاماتها فان من لم يعرف الشيء يقع فيه واما الفعل
فنعني به فعل الواجبات البدنية كالطهارة والصلاة والصوم والواجبات المالية من
الزكاة والكفارات والنفقات وغيرها وما يمكن فعله منهما اي البدن والمال كالحج
والجهاد فهذه الواجبات اذا تعين دخولها على العبد بدخول اوقاتها والتمكن من ادائها
وجب عليه معرفة كيفية الاتيان بها مثل الذي يعيش من ضحوة النهار الى دخول وقت
الظهر فيتجدد عليه معرفة الطهارة والصلاة وهكذا بقية الصلوات فان عاش الى
رمضان تجدد بدخول وقته تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس
وان الواجب فيه النية والامساك عن جميع ما ينقض الصوم واستكمال طرفي الشهر
وهو ان يفطر لرؤية الشهر ويصوم لرؤيته فان كان له مال عند بلوغه او دخل ملكه فيما يجب
فيه الزكاة لزمه معرفة ما يجب عليه عند تمام الحول واداؤه الى اهله وكذلك الحج اذا وجب
عليه بشروطه ولاكن لا يجب عليه المبادرة عند دخول اشهر الحج لانه على التراخي في قول
بعضهم فلا يكون علمه على الفور والذي ينبغي للعلماء ان ينبهوا على ان الحج فرض على من ملك
الزاد والراحلة وحصلت له الاستطاعة بالكمال وانه على التراخي في قول بعضهم حتى يرى
الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج واركانه وواجباته
دون نوافله فان تعلم ذلك وتعلم النفل نفل وكذلك الجهاد اذا تعين عليه وذلك بان يكون اماما او
منظورا اليه لا يقوم فرض الجهاد الا به وهكذا التدرج في تعلم ساير الافعال التي هي فرض
عين واما الترك فنعني به ترك المعاصي بجميعها ظاهرها وباطنها فيجب عليه تركها وكذلك
تضيق عليه معرفتها ما اعدا الشرك فانه مضيق عليه علمه لا يسعه جهله واما غير الشرك
من جميع الحرام فانه يسع جهله ما لم يرتكبه او يتولى من ركبه او يتبرأ ممن تبرأ منه او وقف فيه

وهذا معنى قول اصحابنا رحمهم الله العلوم ثلاثة علم لا يسع جهله طرفة
عين كالتوحيد والشرك وعلم لا يسع جهله الى الورود من صفات مرجعات الله
تعالى اذ وردت عليه او قبلها وملك فاتته به الجنة ومثل الفرايض المسمو
مات الموقتات كالصلاة والصوم وما فرضنا ذكره والثالث علم ما يسع
جهله ابدا كقسمة المواريث ودقايق الربا واروش الجراحات وما اشبه
ذلك يسع جهل ذلك ما لم يبتلى بالعمل او يتقول على الله فيه الكذب وبالله
التوفيق واما اذا اتى بالتوحيد ثم مات قبل ان يجب عليه فرض او يرتكب
محرما او يعتقد بدعة بغرمات على الاسلام اجماعا فتبين بما قلنا ان قوله
عليه السلام اطلبوا العلم ان المراد به العلم بالله والايمان به وملايكته وكتبه
ورسله والحشر والجنة والنار في ساير ذلك من وظايف التوحيد والعلم
بالعبادات والفرايض حتى تودى بالكمال والعلم بالمعاصي حتى لا تفعل لان الا
نسان في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو من وقايع في عباداته ومعاملا
ته فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوازل والمبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه
على القرب غالبا فاذا انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله عليه السلام
طلب العلم فريضة انه علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المكلف لا غير
ومن اقتضى وقت التزويج في وقت وجوبه وبالله التوفيق فصل اعلم ان العلم
والعمل جوهران لاجلهما كان جميع ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعلم المتعلمين
بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السماوات والارض
وما فيهما من الخلق بل لاجلهما خلقت الدنيا والاخرة قال الله تعالى الذي خلق سبع

سما وتعالى قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
فكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم لاسيما علم التوحيد وقال عز وجل وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكفى بهذه الاية دليلا على شرف العبادة ولزومها
فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب
الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه
ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك
قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وعنه عليه السلام انه قال
الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي وعنه
عليه السلام قال نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها روي
هذا الحديث الذي في كتابه وقد ذكرنا في فضل العلم ما فيه كفاية فبان لك ان
العلم اشرف جوهرا من العبادة ولاكن لابد للعبد من العبادة والا كان علمه هباء
منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة ثمرة من ثمراتها والشرف للشجرة اذ هي الاصل
لاكن الانتفاع انما يكون بالثمرة فاذا لابد للعبد من كلا الامرين يكون له منهما حظ
ونصيب كما قيل عن الحسن البصري انه قال اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة
واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما استقر انه لابد للعبد منهما جميعا
فالعلم اولى بالتقدم لانه الاصل والدليل ولذلك قال عليه السلام العلم امام العمل
والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا فيلزمك تقديمه على العبادة لامرين
احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانك اولا من يجب ان تعرف المعبود عز وجل
ثم تعبده فكيف تعبد من لا تعرف باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل

عليه في عبادة الله عز وجل لانه ربما تعتقد فيه شيئا مما خالف الحق وتكون عبادتك هباء
منثورا ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية لتعمل ذلك على ما امرت
به وتعلم ما يلزمك تركه من المناهي لئلا تقع في شيء من ذلك وانت جاهل بحكمه فلا تكون
عندي معذورا لانك كيف تقوم بطاعة لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل
وكيف تجتنب المعاصي وانت لا تعلم انها معاصي حتى لا توقع نفسك فيها ولذلك
قال عليه السلام كما في الاحياء علم قليل خير من عمل كثير في جهل فاعلم ان بناء امر العبادة على
العلم ولا سيما علم التوحيد والعبادة الباطنية وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف
جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا هو الذي يقربك الي واعلم
ان الخطر العظيم فيمن طلب العلم ليباهي به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهي
به النظراء ويستصيد به الحطام فمن كان كذلك فتجارته بائرة وصفقته خاسرة وقال
بعض السلف عملت بالمجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا اشد من العلم وخطره
واياك ان يزين لك الشيطان فيقول اذا كان العلم بهذه الحالة من الشدة والخطر فتركه
اولى واياك ان تظن ذلك فلقد ذكر الغزالي في كتابه ان النبي عليه السلام قال اطلعت
ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء فقالوا يا رسول الله من المال قال لا بل من
العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى
عبادة الملائكة بغير علم لكان من الخاسرين هكذا ذكره العلماء وقد قال الله تعالى قل
هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الاية وقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال سبحانه ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم

الكاذبون

الكاذبون فيتسمى فيها المستفتي شرا فيزد الله في طلب العلم بالبحث والجد والاجتهاد
واجتنب الكسل والملل والاقامة على خطإ الضلال وفقنا الله سبحانه واياك للعلم
النافع والعمل به وبالله التوفيق **الباب الرابع** في العلم الذي هو فرض كفاية
ذكر الغزالي في كتابه فقال اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلم **ثم**
قال والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية
قال واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل
اليه وذلك مثل الحساب ولا التجربة اليه مثل الطب ولا السماع مثل اللغة
قال والعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم
والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب **قال** وذلك
ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة **قال** اما فرض كفاية
فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امر الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء
الانسان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما
فهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد **واذا** قام بها واحد
كفى وسقط الفرض عن الاخرين قال ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض
الكفاية كالفلاحة والخياطة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام لتسارع
الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء
وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله
قال واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب ودقائق
الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه
قال واما المذمومة فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة و
التلبيسات **قال** واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف

بيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه قال واما العلوم الشرعية وهي
المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية
وتكون مذمومة وتنقسم الى المحمودة والمذمومة قال فاما المحمودة فلها اصول وفروع
ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة
كتاب الله تعالى وسنة نبيه واجماع الامة وآثار الصحابة رضي الله عنهم فالاجماع
اصل من حيث انه يدل على السنة لان الصحابة قد شاهدوا وهو اصل في الدرجة الثانية
وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا
بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم
والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص الضرب الثاني
الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول
فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله
عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا وجائعا
ومتألما بمرض وهذا على ضربين احدهما ان يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه و
المتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال
القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وكنحو
العلم بما يترشح من القلب واخلاقه المذمومة على الجوارح في عباداتها وعاداتها
الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو
فانهما آلة لعلم كتاب الله سبحانه وسنة نبيه عليه السلام وليس اللغة والنحو
من العلوم الشرعية ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة
بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعليم تلك اللغة آلة ومن الآلات
علم الكتابة والخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان النبي اميا ولو تصور استقلال
الحفظ

المحيط بجميع ما يسمع لما استغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب
ضروريا. الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى
ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كا
لتفسير فإن اعتماده أيضا على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما
يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والباطن والظاهر
في أمثال ذلك وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا
وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأسما
في الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليتميز
الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليتميز المرسل من المسند وكذلك
ما يتعلق به فإن هذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض
الكفاية فإن قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء
الدنيا فاعلم أن الله تعالى أخرج آدم من التراب فأخرج ذريته من سلالة من ماء
دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى
العرض ثم إلى الجنة والنار فهذا مبدأهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم
وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل
لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات
فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج
السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة
وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم
السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقا

سنتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل
بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين
توامان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له
فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات
الفقه فكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى
بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم
ان الحج لا يتم الا ببدرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء. وسلوك الطريق
الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة
طريق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طريق
السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي للناس الا ثلاثة
امير او مامور او متكلف فالامير هو الامام وكانوا هم المفتون والمامور
نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد الفتوى (ذلك) من غير حاجة فقد كان الصحابة
رضي الله عنهم يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا
يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الاخرة ولقد قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الالف من الصحابة ولم ينصب نفسه للفتوى منهم الا بضعة
عشر رجلا وكان ابن عمر منهم فكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا
الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا
والاحكام من توابع الولاية والسلطنة وفي بعض الروايات بدل المتكلف
المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به
الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في الاحكام

- <u>Auteur :</u> el-Ğirbī, al-šayḫ
'Ismā'īl

- <u>Titre :</u> " Kitāb al-ǧuz'u al-'awwāl
min al-qanāṭir fī al-fiqh "
manuel de jurisprudence,
vol. I.

ينتظم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل
بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين
توامان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له
فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات
الفقه فكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى
بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم
ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء. وسلوك الطريق
الى الحج شيء. ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء. ثالث ومعرفة
طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء. رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق
السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة
امير او مامور او متكلف فالامير هو الامام وكانوا هم المفتون والمامور
نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة فقد كان الصحابة
رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا
يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة ولقد قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الالاف من الصحابة ولم ينصب نفسه للفتوى منهم الا بضعة
عشر رجلا وكان ابن عمر منهم فكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا
الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا
والاحكام من توابع الولاية والسلطنة وفي بعض الروايات بدل المتكلف
المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به
الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في الاحكام